المقـامَــة الأدبـيّــة

﴿ أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾

أنظم الشـــــعر في اطـراح الرفـد
ولازم مــــذهبي فالـــــدنيا أقل
فهـو عنـوان على أحسـن الشـعر إذا

قال الراوي : سمرنا ليلة مع جماعة أبيـة ، لهم شـوق إلى المقامات الأدبية ، والأشعار العربيّة ، فقالوا حدثنا عن الأدب ، فإنه ديوان العرب ، ومنتهى الأرب ، ونهاية الطلب .

قلنـا : حبـاً وكرامـة ، وتحيـة وسـلامة ، فقـد رضـعت الآداب ، وجالسـت الأعـراب ، وحفظت الشـعر من عصـر الشـباب ، فالشـعر عنـدي سـمير ، وهـو لنفسـي روضـة وغدير .

وحديثه الســـــحر
لم يجن قتل المســـلم
إن طال لم يملّ وإن
ودّ المحـــــدث أنه لـم

فقال أحد السُّمار ، من محـبي الأشـعار ، أفض علينـا من القصائد الغـراء ، الـتي قالهـا على البديهـة الشـعراء ، قلت : هذا فن طويل الذيل ، يأخـذ في كـل سـبيل ، ولكن سوف أورد بعض الشواهد ، والشوارد ، والأوابد .

فهذا أبو جعفر المنصور تحدى الشعراء بقافية ، قـال : من أجازها فله الجائزة وافية ، إذ يقول ، وفكره يجول :

وهـــاجرة وقفت بها
يقطعِ حرها ظهر

فقام الشعراء على ركبهم جاثين ، كلهم يريـد الجـائزة من أمـير المؤمـنين ، فقـال بشـار بن بـرد ، وكـان سـريع الردّ :

وقفت بها القلــوص

على خـــــــدي واقصر

فأخذ بردة أبي جعفر ، وكانت من خز أصفر .

وهذا أبو تمام ، وهو شـاعر مقـدام ، مـدح المعتصـم ، فما تعثر وما وهم ، يقول :

إقــــدام عمــــرو في

فيِ حلم أحنف في

فقال الحارث الكندي ، ما لك قدر عندي ، أما تخاف ، تصف أمير المؤمنين بـالأجلاف ، فانهـد أبـو تمـام كالسـيل معتذراً عما قيل :

لا تنكــروا ضــربي له

مثلاً شـروداً في النـدى

فالله قد ضرب الأقل

مثلاً من المشكــــــــاة

حكم النعمان ، على نابغـة ذبيـان ، بالإعـدام ، بعـد مـا اتهمه ببعض الاتهام ، فأنشده البائيَّة الرائعة الذائعة :

فإنك شــــــــــمس إذا طلعتْ لم يبْـــــدُ

فعفا عنه وحباه ، وقربه واجتباه .

وأهدر البشـير النـذير ،دم كعب بن زهـير، فعـاد إليـه ، ووضع يده بين يديه ،وأنشده :

بـانت سـعاد فقلـبي مـــتيم إثرها لم يُفدِ

فحلم عليه وصفح ، وعفا عنه وسمح ، واسـتقام حالـه وصلح .

وأصدر حـاكم اليمن ، قـراراً بإعـدام سـبعين من أهـل العلم والســنن ، والفقــه والفطن ، فأنشـــده البيحـــاني ، قصـيدة بديعـة المعـاني ، هـزّ بهـا أعطافـه ، واسـتدر بهـا ألطافه ، أولها :

المقامَة

يا أبا المجد يا ابن يا سليل النجوم في

فأكرم مثواه ، وعفا عن السبعين من العلماء والقضاة .

وكـــاد معاويـــة أن يفـــر من صـــفين ، يـــوم وقـــف بين الصفين ، فذكر قول ابن الأطنابة، فأوقف ركابَه :

أقول لها وقد جشأت

مكانك تحمـــــــــدي أو

وأوشـك المتنـبي الشـاعر الهـدّار ، أن يـولي الأدبـار ، ويجد في الفرار ، فكرر عليـه غلامه ، أبياتـاً ثبتت أقدامه ، حيث يقول :

الخيل والليل

والســـــيف والـــــرمح

فرجع مقبلا ، فقتل مجندلا . وقتل عضد الدولة الــوزير ابن بقية ، ولم تردعه تقيّـة ، فأنشـد ابن الأنبـاري قصـيدة كأنها برقية ، أو رواية شرقية ، اسمع مطلعها ، وما أبدعها :

علو في الحياة وفي بحق أنت إحـــــدى

فسـمعها عضـد الدولــة فتأسـف ، وقـال حبـذا ذاك الموقف . ولما قتل محمّد بن حميد ، بكاه أبو تمـام بـذاك القصيد ، ورثاه بذاك النشيد :

كـــذا فليجل الخطب

فليس لعين لم يفض

وسب أحد الأمـراء ، المعـري أبـا العلاء ، وهجـاه أشـد هجاء ، وسب أستاذه سيد الشـعراء ، فقـال أبـو العلاء : لا

تسـبه أيهـا الأمـير ، فإنـه شـاعر قـدير ، ولم يكن لـه إلا قصيدة،

لك يا منـــــازل في القلـ　　**أقفـــرت أنت و هن**

ففهم الأمير ماذا يريد ، لأنه قصد آخـر القصـيد ، وهي قوله :

وإذا أتتـك مـــــذمتي

فهي الشهـادة لي بأني المقامَة

ولمـا زار أبـو جعفـر المنصـور المدينـة طلب شـيخاً كبـيرا ، وجعلـه عنـده أجـيرا ، يخـبره بـبيوت المهـاجرين والأنصـار ، فـدار بـه إلى آخـر النهـار ، ولم يعطـه مـالا ، ونسيه إهمالا ، فقال الشيخ يـا أمـير المؤمـنين : هـذا بيت الأحوص الشاعر المبين القائل :

يا بيت عاتكة الــذي　　**حــــذر العــــدا وبك**

فتذكر أبو جعفر القصيدة ، وهي فريدة مجيدة ، يقـول في آخرها :

وأراك تفعل ما تقول

مذق الكلام يقـول ما لا

ففهم المراد ، وأعطى الشيخ الزاد .

أقبل عالم كبير القدر ، ظاهر الأمر ، على شاعر قاعد ، فقام لهذا العـالِم الوافـد ، وكـان العـالم يـرى أن القيـام للقادم باطل ، ولو أن القادم رجل كامـل ، فقـال للشـاعر دع القيام ، فأنت لا تلام ، فقال الشاعر :

قيـــــامي والإله إليـك حق　　**وتـــــرك الحق ما لا يســــــــــــتقيمُ**

وهل رجل له لب　　**يراك تسير إليه ولا**

وفد شاعر على وزير خطير ، بالمكرمات شهير ، فلما أبصر جلبابه ، وشاهد حُجّابـه ورأى أصـحابه هابـه ، فـأراد أن يقول مساك الله بالخير ، قال من شدة الخجـل ، ومن

دهشة الوجل : صبحك الله بالخير ، فقـال الأمـير : أصـباح هذا أم مساء ، أم تريد الاستهزاء ، فقال الشاعر بلا إبطاء :

صــبحته عند المســاء
مـاذا الصـباح وظنَّ ذاك
فأجبتُه إشراق وجهك
حــتى تــبينت المســـاء

وأنا مُحدّث لا حداثي ، من مكة مركـبي وأثـاثي ، ومن المدينـة مـيراثي ، أصـل الحـداثيين من البلاشـفة الحمـر الكفرة ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة .

لا تتبلـــد ، أرســـلناك إلى المربـــد ، بـــالحق تنشـــد ، وبالإسلام تغرد ، فذهبت تعربد .

اســـمك محمـــد فلا تـــزد في الحـــروف ، لتصـــبح محمـدوف ، لأن محمـد شـرعي ، ومحمـدوف شـيوعي ، ديوان المتنـبي مجلـد لطيـف خفيـف ، فيـه لفـظ مـنيف ، ومعنى شريف ، أنصت لشعره الدهر ، وعبر البر والبحـر ، وسار غدوه شهر ورواحه شهر . وبعض الشعراء المولّدين ، لكل منهم عشرة دواوين ، كل ديوان ككيس الأسـمنت ، إذا قرأت منهـا قصـيدة سـكتّ وصـمتّ ، وبُهتّ وخُفتَ ثم مُتّ ، تعبنـــا من ركاكـــة الكلام ، ومن هـــذا الركـــام ، إذا سألناهم عن المعنى أكثروا من الهمز والغمز ، وقـال هـذا شعر الرمز ، فيـه إيجـاز ، وألغـاز وإعجـاز ، والصـحيح أنـه هراء وطلسـمة ، وشـعاب مظلمـة ، وتمتمـة ، وهمهمـة ، وغمغمة .

وقد حكم رسولنا ﷺ في الشعر وقد رضينا حكمه فقال : (إن من الشـعر لحكمة) وهـو الشـعر المحمـود ، الـذي يوافق المقصود ، وليس فيه بذاء ، ولا هجـاء ، ولا ازدراء ، وكان فيه لطف بلا سخف ، مع صدق في الوصف ، وليس فيه تبذل ولا إغـراب ، ولا كـذب ولا إعجـاب ، مـع إشـراق في العبـارة ، ولطـف في الإشـارة ومتانـة في السـبك ،

وجمال في الحبك ، فإذا كان كما وصفنا ، وصار كما عرّفنا ، فهو السحر الحلال ، وهو فيض من الجمـال ، وهالـة من الجلال ، يبهج العاقل ، وينبّه الغافل

واعلم أن في الشـــعر مختـــارات ، وفي القصـــائد أمهات ، مثل المعلقات ، وما اختاره أصحاب الحماسـات ، ولا تنس الفريدة الحسناء ،

هــذا الــذي تعــرف

وإن تعجب فيحق لك العجب ، من قصيدة :

السـيف أصـدق إنبـاء

وأجمل المراثي الرائعات :

علو في الحيـاة وفي

أو ابن زيدون وهو يشجينا :

أضحى التنـائي بـديلاً

المقامَة

أو الشريف الرضي في روعة البيان ، يوم أنشد :

يا ظبية البـــــــان

وواعجباه ،

م واحر قلبـــــــــــاه

وما أبهى تاج الكلام ،

تفت فــؤادك الأيــام

وأبو البقاء الراوندي يوم اهتم ، فقال :

لكل شـــيء إذا ما تم

واعلم رحمك الله أن في الشـعر تِبْـر وتـراب ، وذهب وأخشاب ، ولا يخدعنك قولهم فلانٌ شـاعر مـوّار ، فقـد لا يساوي شعره ربع دينار ، فـإن من الشـعر مسـك وعنـبر ، ولؤلؤ وجوهر ، يسافر إلى سويداء قلبـك ويبحـر ، وينـادي إنما نحن فتنة فلا تكفر .

وفي الشعر شـعير ، وروث بعـير ، فيـه نذالـة وجهالـة ورذاله ، فويـل لمن أشـغل النـاس، وسـوّد القرطـاس ، وجلب الوسـواس ، وحـاس وداس ، وفي ديـار القلـوب جاس ، يصيبك من شعره تثاؤب وعطاس ، ونوم ونعاس ، فإذا رأيته فقل له : لا مساس ، ولا باس عليك منه لا باس . وهذا الصنف لا يردّه عقل ، ولا يردعه نقل ، جائزته بصل وفجل ، لأنه أشرب في قلبه العجل . إذا قـام أحـدهم في النوادي ، صاح المنادي : هذا شـاعر الحواضـر والبـوادي ، وبلبل النادي ، فيصدق المسكين ، قطع بلعومه بالسكين ، فيتمايل طربا ، ويتيه عجبـا ، ويقـول للحضـور : لقـد لقينـا من سفرنا هذا نصـبا ، فـإذا ألقى القصـيدة ، فكأنـه يأكـل عصـيدة ، يلوِّي راسـه ، ويكظم أنفاسـه ، كأنمـا يتخبطـه الشـيطان من المس ، حـتى ينـادي الجمهـور : بس بس ، فليت قارئـاً يـبرك على صـدره ، ويضـع يـده على نحـره ، ويرش وجهه بماء من تبسي ، ويقرأ عليـه آيـة الكرسـي . فإذا خـرج شـيطان الشـعر الـرخيص ، وعلم أنـه ليس لـه محيص ، قام هـذا الغـبي ، كأنـه صـبي ، ليـترك الأشـعار ، لأهل الاقتدار ، ويقصد البيع والإيجارة ، أو البناء والنجارة ، أو يصلح عقاره ، ويهجر القوافي ، لكل فصيح وافي .

وليت النـاس سـلكوا مـذهبَهم ، فقـد علم كـل أنـاس مشـربهم ، ويـا من اشـتغل بالأشـعار، عليـك بالأذكـار ، وإدمـان الاسـتغفار ، والخـوف من القهـار ، فـإن اللسـان ثعبان ، وأمامك قـبر ومـيزان ، ونجـاة وخسـران ، ولا يكن لسانك كالمقراض للأعراض ، ولا يكن كالمقباض للأغراض ، فإن الأنفاس تكتب عليك ، وعملك منك وإليك .

وويل لمن أطلـق لسـانه ، وأرضى شـيطانه ، وأجـرى في اللهو حصانه ، من يوم تشـيب فيـه النواصـي ، وينـدم فيه كل عاصي ، ويهابه كل دانٍ وقاصي .

ويا شـعراء المجـون ، مـالكم في الغي تلجـون ، وفي النوادي تصجّون ، ولكل رأس تشجّون . ألا عقل يردع ، ألا أذن تسـمع ، ألا قلب يخشـع ، ألا عين تـدمع ، أشـغلتم القلوب ، وأنسيتم الناس علام الغيوب ، ودللتم الأمة على

المعاصي والـذنوب ، أشـعلتم النفـوس الهائجـة ، أحـرقتم القلــوب المائجــة ، لأن بضــاعتكم على الأراذل رائجــة ، أتظنـون أنـه لا حسـاب ولا عقـاب ، ولا عـذاب ولا ثـواب ، الموقــف أصــعب ممــا تظنــون ، والمشــهد أعظم ممــا تتصوّرون ، إذا بعثر ما في القبور ، وحصّل ما في الصـدور ، وفار التنور ، وقصمت الظهور ، وطار الكبر والغرور .

إذا جـار الوزيـــر
وقاضــــــي الأرض
فويـــل ثم ويـــل
لقاضــي الأرض من

يا شعراء المجون ، ويا أتباع كـل غـاو مفتـون ، وهـائم مجنـون ، ويـل لكم ممـا كتبت أيـديكم ، وويـل لكم ممـا تكسبون .

المقـامَــة الخطابـيّـــة

﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾

ولســان صــيرفي   كذباب الســيف ما
صــــــــــــارم   مس قطع
ســحر هــاروت   كلم الصــخر بحق

نحن في زمن عجيب ، وفي عصــر غــريب ، كم بلينــا بخطيب غير أديب ، ولا مصــيب، إذا تكلم تلعثم ، وهمهم ، وغمغم ، وتمتم .

إذا بدأ في الكلام اعتذر ، لا يدري مـا يـأتي ومـا يـذر ، لأن كلامــه هــذر مــذر ، ابتلي الرجــل بالســعال ، وكـثرة الانفعال ، وسوء التعبير في المقال .

لا يــزوّر الكلام في صـدره تزويــرا ، ولا يحبّـر الخطب تحبيرا ، فلا يساوي كلامه في ميزان الشعر نقيرا ، يـا ليت بعض الخطباء اشتغل بالتجارة ، أو مارس البناء والنجارة ، وترك المنبر لأهل الإبداع والجدارة .

الخطيب القدير ، والمتكلم النحرير ، له صولة وزئـير ، ومنطق كالحرير ، ولسان كالسيف الطرير ، إذا وثب على المنبر ، فـاح منـه المسـك والعنـبر ، فكـأن منطقـه المـاء الــزلال، والنبــع السلســال ، يــأتي بالحكمــة في ارتجــال ، ويغلب بحجته الرجال ، فإنه الأسد إذا صـال وجـال ، إيـاّك والكلام السـاقط المــرذول ، والعـامي المبـذول ، وعليـك بفصيح المنقول ، الذي يحبّذه أصحاب العقول ، ما أحوجنـا إلى خطيب قوّال ، وبما يقول فعّال ، ليس صاحب إملال ، ولا إخلال ، ولا إقلال ، وإنما يدبج السحر الحلال .

وكلامه الســــــحر   لم يجن قتل
الحلال لو أنه   المســلم المتحــرز
إن طــــال لم يملل   ود المحــدث أنـه لم

لا يشرح الصدر مثل الكلام الصادق ، والبيان الناطق ، واللفظ الدافق ، والأسـلوب السـامق ، أمـا كلام الحاكـة ،

وألفـاظ أهـل الركاكـة ، فهـو حُمّى الأرواح ، في الصـدور رماح ، وفي القلوب جراح .

ترى بعضهم إذا تكلم لا يكاد يبين ، كأنه من الأعجميين ، ينطق بـالحرف مقلوبـا ، ويجعـل المرفـوع منصـوبا ، ملأ خطبته عيوبا ، وندوبا ، وثقوبا .

غضب منـه في النحـو سـيبويه ، وفي اللغـة نفطويـه ، وفي الحديث راهويه ، وفي الشعر متنبيويه .

الخطيب البارع يأسر القلوب أسرا ، ويسري بــالأرواح فسبحان من أسرى ، ويسترق الضمائر فإما منّاً بعـد وإمـا فداء ، وله على مستعمرات النفوس احتلال واستيلاء .

الخطيب الملهم يكتب على صـفحات القلـوب رسـائل من التأثير ، ويرسم في العقول صوراً من براعة التعبــير ، ويبني في الأفئدة خياماً من جلال التصوير .

هل تمل من الروضة الغنّـاء إذا غـنى فيهـا العنـدليب ، وحل بها الحبيب ، وأطفأ نسيمها اللهيب ، وكذلك الخطيب النجيب ، في خطبــه روضـات من الجمـال ، وبسـاتين من الجلال ، ودواوين من الكمال .

تقرأ القصة لا تساوي بعرة ، ولا تهـز شـعرة ، فيلقيهـا الخطيب الأشدق ، والفصيح المتدفق ، فكأنها السـحر دب في كيانك ، وكأنها الخمر هزت أركانك ، تسمع بيت الشعر لا يسـاوي ريـالا ، ولا تـرى فيـه روعـة ولا جمـالا ، فيلقيـه الخطيب المصـقع ، والمتكلم المبـدع ، فتبقى من حسـنه مبهوتا ، كأنك لقطت ياقوتا .

الخطيب الهـدّار ، كالسـيل المـوّار ، يقتلـع الأشـجار ، ويحمـل الأحجـار ، ويقتحم الأسـوار ، لا يـرده جـدار ، ولا تقـف في طريقـه دار ، لأن الخطيب يقبـل ومعـه الآيـة الآمرة ، والموعظة الزاجـرة ، والقصـة النـادرة ، والحجـة الباهرة ، والقافية الساخرة .

تعيش معه في دنيـا من الصـور والألـوان ، وفي عـالم من المشاهد والألحـان ، كأنـك في إيـوان ، أو بسـتان ، أو ديوان .

دعــني من الخطبـــاء الثقلاء ، كـــأن كلامهم لهيب الرمضاء ، أو وهج الصـحراء ، أو وجـه الشـتاء ، لا طلاوة ، ولا حلاوة ، لا إبـــداع ، ولا إمتـــاع ، ولا إشـــباع . قـــوم لم تركض ألسنتهم في ميدان البيان ، ولم تذق قلوبهم حلاوة القرآن ، ولا تمتعـوا بسـحر الكلمـات ، ولا رشـاقة الجمـل البالغات ، ولا عرفوا حسن السبك ، ولا براعة الحبك ، همُّ أحدهم صحف يتلوها على النـاس بكـرة وأصـيلا ، لا تـترك في الناس من التـأثير فـتيلا ، يلـوك أحـدهم الكلام لوكـا ، كأنه يغرز في الأجسام شوكا .

أفصح الناس رسول الهدى ، وإمام الندى ، أبلـغ من حضـر وبدا ، وأوعظ من راح وغدا .

ما بـــــــنى جملة من
وابتـــنى اللفظ أمة من
منطقٍ يملأ القلـــــوب
في حبـــــــــور وبهجـة

إن من أعظم المتـع الـتي عاشـها الصـحابة ، تلـك الفصاحة ، والبراعة ، والنجابة ، التي كـانوا يسـمعونها من سيد الفصحاء ، وإمام البرعاء ، وأبين العرب العرباء ، كان إذا تكلم ملـك المشـاعر ، واسـتولى على الضـمائر ، واسـتمال السـرائر ، فلا يريـدون بعـده كلام خطيب ولا شاعر ، إذا نطـق عليـه الصـلاة والسـلام وتـدفق ، فكأنـه الفجر أشرق ، والماء ترقرق ، والنـور في الأرواح ترفـق . إن من النعيم ، عند ذاك الجيل العظيم ، سماع ذلك النبي الكريم، في منطق سليم ، وصـوت رخيم ، وقـول قـويم ، ونهج مستقيم . ثم درج خطباء الأمة على منواله ، وسبكوا أقـوالهم على أقوالـه ، فمن مقـلٍّ ومكـثر ، ومن مُـؤثِّر ومتأثر . فأحسن الخطبـاء من جعـل القـرآن معينـه ، وملأ بنـور الحـديث عينـه ، وجعـل البيـان خدينـه ، ثم أكـثر من التـدريب ، وأدمن التجـريب ، وأخـذ من كـل فن بنصـيب ، فترى له من البراعة ، ومن الجرأة والشـجاعة ، مـا يخلب ألباب الجماعة ، جمالاً في بيـان ، وحسـناً في إتقـان ، مـع عذوبـة لسـان ، وثبـات جنـان . غـير أن البلاء ، يـأتي من الأغبياء ، المعدودين في الخطباء ، فهم كالغيم في الصحو ، وكاللحن في النحو ، عبارات من حجاب البيـان سـافرة ، وجمل متنافرة . وتركيب غريب ، ليس عليـه من سـلطان الإبداع رقيب ، هَمُّ أحدهم أن يقول ، ولو أخطأ في النقول ، وعـاث في العقـول ، فَمَنْـع هـؤلاء من الخطابـة إصـابه ، حتى يراجع كل منهم حسابه . فليست المنابر أسواق باعة ، ولا أحـواش زراعـة ، ولا ورش صـناعة ، إنمـا المنـابر مواضـع طاعـة ، تهـذب بهـا الأجيـال ،وتصـقل بهـا عقـول الرجال

ومنطق كضيـاء الشمـس تحسبـه   **من حسـنه سـحر هـاروت ومـاروتِ**
يـدب في الجسم مثل   **ألفاظـه قلت هـذا**

فهذبْ لسـانك ، وجـوّد بيانـك ، ودرب جنانـك ، وأطلـق في الفصــاحة عنانــك ، لتكــون الخطيب المســدّد ، والمتكلم المؤيد . وحذار من ترداد الكلام ، فإنه يتحـول إلى ركـام ، ويصــــــبح الخطيب أقبح في العين من الظلام ، وإيّـــــاك والتقعـر والغرابـة ، فإنهـا من عيـوب الخطابـة ، ولا تكـرر العبـارة ، ولا تكـثر الإشـارة ، ولا تقحم نفسـك في فنـون أهل الاختصاص ، ولا تجـرح الأشـخاص . واخلـط الـترغيب بــالترهيب ، والوعــظ بالتــأديب ، وتحبب إلى الســامعين بـالطَّيِّب من الكلام ، ولا تتعـرض للشـتم والملام ، وتـألف القلوب ، وذكرهم برحمة علاّم الغيوب .

وتخولهم بالموعظة ، لتكون لقلوبهم موقظة ، وتحدث فيما يحتاجون إليـه من مسـائل، ومـا يهمهم من فضـائل ، وكن لطيفاً مع الناس ، كالطبيب الآس .

واجعـل إمامـك في الخطابـة رسـول البيـان ، صـاحب القرآن ، سيد ولد عدنان .

فقـد كـان الجـذع يحنّ لكلامـه ، ويئن من كـثرة شـوقه وهيامــه ، وكــانت الــدموع من وعظــه تتحــدر ، والقلــوب تتفطّر ، والنفـوس تتحسـر ، هـذا إذا أنـذر وحـذر ، أمـا إذا ذكرهم بمغفرة الغفور ، فهناك تسـبح النفـوس في صـرح ممرّد من السرور ، وفي جـدول من الحبـور، فيمـد كلامـه نور الفطرة فالكل نور على نور .

هــذا الكــلام مـا قالـه

ولا تلا مثله في الجمع

عليـه من حلل الأنـوار

فكل قلب من الأشـواق

يصدع الصخر في زجر

وفي البشـــــارة روض

أيها الخطباء كونوا أبطالا ، ورصّعوا من الحكمة أقــوالا ، ودبّجـوا من الفصـاحة أمثـالا ، وانفـروا خفافـاً وثقـالا ، وفقكم الله تعالى .

مقـامَـــة الـتـوبــــة

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

ولما قسا قلـــبي — جعلت الرجا ربي
وضـاقت مـذاهبي — لعفـــوك ســـلما

يا باغي الخير أقبل ، فالبـاب غـير مقفل ، يا من أذنب وعصى ، وأخطأ وعـتى ، تعـال فلعل وعسى ، يا من بقلبه من الذنوب جروح ، تعـال فالبـاب مفتـوح ، والكـرم يغـدو ويـــروح ، يا من ركب مطايا الخطايا ، تعـــال إلى ميـــدان العطايا ، يا من اقــترفوا فــاعترفوا ، لن تنســوا ﴿ قُــلْ يَا عِبَـادِيَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا ﴾ ، يا من بــذنب بــاء ، وقد أســاء ، تذكر : ((يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء)) .

أســقت بغي كلبا ، فأرضت ربّا ، ومحت ذنبا ، قتل رجل مائة رجل ، ثم تاب إلى الله عز وجلّ ، فدخل الجنة على عجل .

لو لم تـــرد نيل ما — من جــود فضــلك ما

من الذي ما أساء قط ، ومن له الحسنى فقــط ، ومن هـو الـذي مـا سـقط ، وأين هـو الـذي مـا غلـط ، يـا كثـير الأخطاء : أنسيت : كلكم خطّـاء ، كم يقتلـك القنـوط كم ، وأنت تسمع : ((والذي نفسـي بيـده لـو لم تـذنبوا لـذهب الله بكم)) .

اطرق الباب تجـدنا عنـــــــده — بســـخاء وببـــذل وكـــــــــرم

إذا أذنبت فتب وتندّم ، فقد سبقك بالذنب أبــوك آدم ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم ، فلا تقلد أباك في الذنب وتترك المتـاب ، فـإن أبـاك لمـا أذنب أناب ، بنص الكتاب .

أصبحت وجوه التائبين مسفره ، لما سمعوا نـداء : لـو أتيتني بقراب الأرض خطايا لأتيتك بقرابها مغفـره ، اطـرح نفسك على عتبة الباب ، ومد يدك وقل : يا وهّـاب . أرغم أنفك بالطين وناد : رحمتك أرجو يا رب العالمين .

إن جــــــرى بيننا وبينك عتب ... وبعـــدنا وشط عنا المـــــــــــزار
فــالقلوب الــتي ... والــدموع الــتي

يا من أساء وظلم ، اعلم أن دمعة ندم ، تزيل أثر زلـة القدم . أنت تتعامـل مـع من عـرض التوبـة على الكفـار ، وفتح طريق الرجعة أمام الفجّار ، وأمهل بكرمه الأشرار . أنزل بالعفو كتبه ، وسبقت رحمته غضبه .

والله ما لمحت عيـــني منـــازلكم ... إلا توقد جمر الشوق في خلـدي
ولا تذكرت مغناكم ... الا كـــأن فـــؤادي

اسمه التـوّاب ، ولو لم تـذنب لما عـرف هـذا الوصف في الكتـــاب ، لأن الوصف لابد له من فعل حـــتى يوصف بالصواب . ما تـدري بالـذنب ، محى العجب ، وبالاسـتغفار حصل الانكسار ، لكأس الاستكبار ، وصار الانحدار ، لجدار الإصرار .

لا تصر ، بل اعـــترف وقر ، فـــإن طعم الـــدواء مُر ، وسوف تجد ما يسر ولا يضر ، واحذر الشيطان فإنه يغر .

اطـرق البـاب فإنا ... لا تغـــــــيرك على

الاعتراف بالاقتراف ، طبيعة الأشـراف ، قف بالبـاب ، وقل : أذنبنا ، وطف بتلك الـديار وقل : تبنا ، وارفع يـديك وقل : أنبنا ، ﴿ أَفَلا يَتُوبُـــونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْـــتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، سبحان من يغفر الذنب لمن أخطأ ، ويقبل التوبة ممن أبطأ .

التوبة تَجُبُّ ما قبلها ، وتعم بركتها أهلها . يقـــول عليه الصلاة والسلام ((التـائب من الـذنب كمن لا ذنب لـه)) ، وهذا قـول يجب أن نقبله ، فهنيئـاً لمن تـاب وأنـاب ، قبل أن يغلق البـــاب . التـــائب ســـريع الرجعة ، غزير الدمعة ، منكسر الفؤاد ، لرب العباد ، دائم الإنصات ، كثير الإخبـات .

للتائب فرحتان ودمعتان وبسمتان .

فرحة يوم تـرك الـذنب ، **والأخرى** إذا لقي الـرب ، **ودمعة** إذا ذكر ما مضى ، **والثانية** إذا تأمل كيف ذهب عمره وانقضى ، **وبسمة** يـوم ذكر فضل الله عليه بالتوبة ، وهي أجلّ نعمة ، **والأخرى** يوم صـرف عنه الـذنب وهو أفظع نقمة .

بشـــــرى لمن عفّر جبينه ، وأشـــــعل في قلبه أنينه ، وأضرم بالشوق حنينه ،التائب تبدل سـيئاته حسـنات ، لأن ما فات مات ، والصالحات تمحو الخطيئات .

للتوبة أسرار ، ولأصـحابها أخبـار ، فالتـائب يـزول عنه تصيد المعائب ، وطلب المثالب ، لأنه ذاق مرارة ما تقـدّم ، فهو دائماً يتندّم ، وهو يفتح باب المعـاذير ، لمن وقع في المحـاذير ، ولا يفعل فعل المعجب المنّـان ، الـذي قـال : والله لا يغفر الله لفلان ، بل يستغفر لمن أساء من العباد ، ويطلب الهداية لأهل الفســاد ، والتــائب يطـــالع حكمة الرب ، في تقدير الذنب ، وأنه لا حول للعبد ولا قوّة ، في منع نفسه من الوقــوع في تلك الهـوّة ، فالله غـالب على أمــره ، بعزته وقهـره ، والتـائب ذهبت عن نفسه صـولة الطاعـــات ، والــدعاوى الطـــويلات ، والتبجح على أهل المعاصي ، وأصـــبح ذليلاً لمن أخذ بالنواصي ، فـــإن بعض الناس إذا لم يقع في زلّة ، ولم يــذق طعم الذلة ، جمحت به نفسه الأمّارة ، حتى جاوز أطواره ، فكلما ذكر له عاص تأفّف ، وكلما سمع بمـذنب تأسّـف ، وكأنه عبد معصـوم ، في حياته غير ملـوم ، يحاسب النـاس على زلاتهم ، ويأخذ بعــــثراتهم ، فــــإذا أراد الله تقويمه ، ليســـــلك الطريق المستقيمة ، ابتلاه بذنب لينكسر لربه ، وأراه ضـعف قوته فيعترف بذنبه، فيصـبح يـدعو للمـذنبين ، ويحب التـائبين ، ويبغض المتكبرين .

ومنها أن كأس الندم يتجرعه جرعة جرعه ، مع انحدار دمــوع الأسف دمعة دمعـــه، حينها ينــال الولاية ، ويــدرك الرعاية ، لأنه عـرف سر العبودية ، ودخل بـاب الشــريعة المحمديّة ، فـإن ذل العبد مقصــود ، وتواضــعه محمــود ، لصاحب الكبرياء المعبود .

ومنها أنه يشــتغل بالاســتغفار ، عن الاســتكبار ، فهو دائم الفكر في تقصــيره ، مشــتغلاً به عن غــروره ، لأن بعض النـاس لا يـرى إلا إحسـانه ، ولا يشـاهد إلا صـلاحه وإيمانه ، حــتى كأنه يَمنّ على مــولاه ، بطاعته وتقــواه ، بخلاف من طـار من خـوف العاقبة لبه ، وتشـعب بالنـدم قلبه ، فهو كثير الحسـرات ، على ما مضى وفـات ، وهـذا هو حال من عرف العبادة ، وسلك طريق السعادة .

واعلم أن لـــوم النفس على التقصـــير ، والنظر إليها بعين التحقــير ، والإزراء عليها في جــانب مولاها ، وعــدم الرضا عنها لما فعله هواها ، يقطع من مســافات الســير ، إلى اللطيف الخبـير ، ما لا يقطعه الصـيام ولا القيـام ، ولا الطواف بـالبيت الحـرام ، فهنيئـاً لمن على ذنبه يتحـرق ، وقلبه يكـــاد من الأسف يتمـــزّق ، ودمعه على ما فـــرّط يترقرق .

وقفنا على الأبـواب ونبعث شوقاً طالما

أجمل الكلمات ، وأحسن العبـارات ، لـدى رب الأرض والسموات ، قول العبد : يا رب أذنبتُ ، يا رب أسـأتُ ، يا رب أخطـأتُ ، فيكـون الجـواب منه سـبحانه : عبـدي قد غفرت وسامحت ، وسترت وصفحت .

إن الملـــــوك إذا في رقهم عتقـوهم
شـــابت عبيـــدهمو عتق أبـــــــــرار
وأنت يا خـــــالقي قد شـبت في الرق

عفّر الجبين بالطين ، وناد : يا رب العـالمين ، تبنـا مـع التـائبين ، اغسـل الكبـائر بسـبع غرفـات من مـاء الـدموع وعفرها الثامنة بتراب المتاب ، فهذا فعل من أناب ، حـتى يفتح لك الباب . تأوّه المـذنبين التـائبين ، أحب من تسـبيح المعجبين ، من قضى ليله وهو نـائم ، وأصـبح وهـو نـادم ، أحب ممن قضاه وهو مسـبّح مكبّـر ، وأصـبح وهـو معجب متكبّر .

إذا أردت القــدوم عليه ، توسل برحمته وفضــله إليه ، ولا تمنن بطاعتك لديـــه، لا تيــأس من فتح البـــاب ، ورفع الحجاب ، فـأدم الوقـوف عنـده ، واخطب وده ، فـإن من

قصــده لن يــرده ، ما أحــوج الجيل ، إلى آخر ســاعة من الليل ، لأنها ساعة الهبات ، والأعطيـات والنفحـات ، إمـام الموحدين ، يقـول : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَـعُ أَنْ يَغْفِـرَ لِي خَطِـيئَتِي يَوْمَ الـدِّينِ ﴾ ، فجعل غاية منـاه ، أن تغفر خطايـاه ، وأنت تُصِرّ ، ولا تُقِرّ ، وتحسو كأس الـذنب وهو مُـرّ ، فـأفق من سبات اللهو ولا تكن من الغافلين ، وأكـثر من ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

المقامَة

المقـامَــــة التاريـخيـــــة

﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ﴾

اقرأ التأريخ إذ فيه العـــــــــــــبر ‏ ‏ ضــــل قـــوم ليس يــــدرون الخـــبر

وتأمل كيف أفـنى ‏ ‏ من على الملـــك

قال أبو كثير ، جرير بن الأثـير ، سـلوني عن التـاريخ ، فإني في علمه شيخ .

قلنـا : يـا أبـا كثـير ، فضـلك كبـير ، فمـا هـو التعليق ، على أحداث نذكرها لك بالتحقيق .

قال : تقدموا وتكلموا .

قلنا : مولد النبي محمد ﷺ .

قال : مولـد النـور ، وإشـراق السـرور ، وهـو فتح من الله على هذا الكون ، ونبأ عظيم ما سمع بمثله في حركة ولا سكون .

قلنا : فهجرته إلى المدينة .

قـال : بدايـة الانطلاق ، وفجـر الإشـراق ، بهـا قـامت الدولة ، وصار للإسلام جولة، وللحق صولة .

قلنا : فغزوة بدر .

قال : إثبات صدق الصحابة ، واجتثـاث تلـك العصـابة ، وقطع الرؤوس الكذابة ، وجلال للدين ومهابة .

قلنا : فوفاة الرسول ﷺ .

قال : نزفت منها القلوب دما ، وامتلأت النفوس ألما ، وهي دليل على أن لا بقاء إلا للواحـد ، ومـا مخلـوق بهـذه الدنيا خالد .

قلنا : فمعركة القادسية .

قــال : مشــهد من مشــاهد الحــق إذا هجم ، ونهايــة ماحقــة ســاحقة لدولــة العجم ، وأن من عــادى الــرحمن فليس له سلطان ، ولا أمان ولا صولجان .

قلنا : فمعركة اليرموك .

قال : فرار الروم كالبوم ، ولكل طاغية يـوم معلـوم ، وإن الدين أمضى سيف للمجاهدين .

قلنا : فعين جالوت .

قــال : نهايــة المغــول ، ومأســاة حظهم المغلــول ، وجندهم المخذول ، على أيدي أتباع الرسول .

قلنا : في حطين .

قـال : حطين ، تمريـغ الباطـل في الطين ، وهي يـوم جلاء الصليب من فلسطين .

قلنا : فموت خالد بن الوليد على الفراش .

قال : دليل على أن الرجل درع حصين ، وموته مصيبة للموحــدين ، وفرحــة عــابرة للكــافرين ، وعيــد للجبنــاء الفاشلين . وكأن القتل هـاب من خالـد ، فأتـاه على غـرة وهو قاعد .

قلنا : ففتنة القول بخلق القرآن .

قـال : هي نتـاج الفلسـفة الشـنعاء ، الـتي زاحم بهـا المأمون الشريعة الغراء ، ولكن الله نصر الحق وأتباعــه ، وهزم الباطل وأشياعه .

قلنا : أحسـنت في هـذا الحـوار ، فحـدثنا عن بعض ما ورد في التاريخ من الأخبار .

قال : لما ابتلى المأمون الناس بالمحنة ، قيض الله له بطل السنة ، فكان المـأمون رأسـاً في علـوم اليونـان ، وأحمد رأساً في علوم السنة والقرآن .

 أما رأيت الحجاج قتل ابن الزبير ، وذبح سعيد بن جبير ، ووضع إبراهيم التيمي في بير ، ثلاث عورات لكم .
 قال فرعون ثلاث كلمات مهلكات ، يقول : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ فـدس أنفـه في الطين ، و﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ فأخرج منها وهو لعين ، و﴿ مَـا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى ﴾ فأراهم سبيل الهالكين .
 علي بن أبي طالب ، مرفوع بين الرافضة والنواصب ، لأنها لا تدخل على المرفوع النواصب .
 يـا للـه العجب ، جولـدا مـائير امـرأة ، هـزمت رجـال العرب ، كيف لو كانت رجلاً ذا شنب .
 قال جميّل : سوف أبيد إسـرائيل ، فـألقى على اليمن البراميل ، قلنا : ضللت السبيل .
 وقـال صـدام : سـوف أحـرق اليهـود ، فأرسـل إلى الكويت الجنود . قلنـا : أسـد عليّ وفي الحـروب نعامـة شرود .
 يوم كـانت تركيـا تحكم بالشـريعة السـمحاء ، أرسـلت للعالم الزعمـاء والعلمـاء والأدبـاء . فلمـا حكمت بمنهج الكـافرين ، أرسـلت للعـالمين الحلاقين والراقصـين والمغنيين.
 أخذ العرب في فجر الإسلام قياد العـالم ، فلمـا خفيت عليهم المعالم ، منوا بالهزائم .
فنقل الله السلطان للأكراد ، لأنهم نصـروا رب العبـاد ، فملّكهم البلاد .
ثم أخـذ الريـادة السـلاجقة ، وأمم لاحقـة ، ثم انتقـل مفتـاح الأملاك ، إلى الأتـراك ، فلمـا صـاروا في تـرف وانهمـاك ، سـلب منهم المفتـاح ، لأنـه لا يحملـه إلا من صدق في حي على الفلاح ، واعلم أن في هذا برهـان ، على أن الإسلام لا يعترف بـالألوان ، وليس لبلـد خـاص من البلدان . لكنه لكل من نصر الحق ، وأتى بالصدق .
 أهـدت لنـا خراسـان سـلمان ، وأهـدت صـهيباً لنـا الرومان ، فأهدى لهم رسولنا القرآن والإيمان .
 الجيش إذا لم يصـم رمضـان ، يهـزم في حزيـران ، وجيش لا يؤمن بتعاليم جبريل ، لا ينتصر على إسرائيل .

- التـأريخ إن شـئت جعلتـه شـريفاً أو سـخيفا ، فالتـاريخ الشـريف : تـاريخ الفتوحـات والانتصـارات ، والنكبـات والـدروس المسـتفادات . والتـاريخ السـخيف : تـاريخ القيان، وكيف كانت تضرب العيدان ، وخبر الجواري في قصر السلطان .
- اشغلونا في التاريخ بأخبار سـخيفة ، فقـالوا : الجاريـة غضبت على الخليفة ، فأهداها قطيفة ، فعادت للوظيفة .
- لابد أن يقرن التأريخ بالأثر ، ويُرَصَّع بالسير ، وتسـتفاد منه العبر .
- تـاريخ ابن خلـدون مقدمـة بلا كتـاب ، لكنهـا عجب من العجاب . وتاريخ ابن الجوزي غرائب وعجائب ، كأنه لابد في كـل قصـة من مصـائب . وتـاريخ الطـبري دقـائق ، أشغلتنا عن الحقائق ، وتاريخ ابن كثير ، أحسـن الجميـع بلا نكير ، لكنّـه طـول في تـراجم الشـعراء ، وقصـر في تراجم العلماء .
- الـذهبي يكتب بقلم السـلف ، فتجـده كثـير النقـد للخلف ، تخرج من مدرسة المحدّثين، فتراه يشن الغارة على الـمُحدَثِين .
- العظمـة في اتبـاع المعصـوم ، لا في المناصـب والرسوم ، والدليل على ما أقـول ، أن دائـرة المعـارف البريطانية ، ترجمت بعشرين صفحة للدولـة العباسـية ، وترجمت لابن تيمية بأربعين صفحة ، لجهوده الإسلاميّة .
- ألسنة البشر ، أقلام تكتب بها السير ، إذا ذكر عمر بن عبد العزيز قال الناس : رحمـه اللـه ، وإذا ذكـر الحـاكم الفاطمي قال الناس : قاتله الله .
- لما تولى بنو أمية الخلافة قالوا : سوف تبقى لنا دواما ، فما أكملوا ثمانين عاما . فلما تولى بنو العباس قالوا : سوف نحكم الأرض بالأثر والنظر ، حتى خـروج المهـدي المنتظر، فلم يبق الله لهم في الأرض مكانا ، كأنهم خبر كان .

من قرأ التاريخ هيجه على البكاء ، والاتساء ، والاقتداء . كم في التاريخ من زفرة ؟ وحسرة وعثرة ؟ لقـد كـان في قصصهم عبرة .

المقـامَـــــة السُّـلطانيَّـــة

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ﴾

جـــانب الســـلطان واحـــــــذر بطشه   **لا تعاند من إذا قـال فعل**

قال عليٌّ بن عمران : اعلموا أن السلطان ، ظل اللـه في الأوطان ،بهيبتـه تحفـظ البلاد وتسـعد العبـاد ، وبعدلـه تـأمن الآفـاق ، وتقـام الأسـواق ، وبسـيفه تنصـر الملّـة ، وترفع الذلّة .

أما الظلوم الغشوم ، فمجده مهدوم ، وسيفه مثلوم ، وجنده مهزوم . اسمعوا ابن خلدون ، لعلكم تعتـبرون . إن السلطان إذا عدل ، شـفيت بعدلـه العلـل ، وزال الخلـل ، وذهب الزلــل ، ونصــر اللــه دولتــه بين الــدول . أمــا إذا السلطان جار ، ألزمه الله الصغار ، وألبسه العار ، وسلط عليه الدمار ، وجعل مصيره النار .

قلنا يا ابن عمران : وكيف يكـون العلمـاء مـع السلطان ؟

قال : لا تقابل السـلطان بـالقوة ، فيلقيـك في هـوّة ، وكما قالت العرب في الكتب : لا تمازح الأسـد ، فإنـه أبـو لبد . فالعـالم لا يخالـط السـلطان حـتى كأنـه حـاجب ، أو كاتب ، أو حاسب ، لأن الصاحب ساحب ، بـل ينصـحه من بعيد ، ويزوره كل عيـد ،ويـدعو لـه بالتسـديد . ولا ينصـحه أمام العوام ، لأنهم هوام ، أصحاب طوام ، بــل يداريــه ولا يماريه، وينكر عليه ولا يجاريه . ويكلمه كلاما بيِّنـا ، ويقـول له : قولا ليِّنا .

قلنا : فإن أعطاه السلطان مالا ، وقال يأخذه حلالا ، ويصلح به حالا .

قال : إن كان هذا المال ليشتري به دينه ، من أجل أن يذلـه ويهينـه ، فالمنيّـة ولا الدنيـة ، وركـوب الجنـائز ، ولا قبـول الجـوائز . وإن كـان هـذا العطـاء من بيت المـال بلا

سؤال ، ولا مكرٍ واحتيال ، فرزق ساقه الله إليـك ، سـواء كان بنقد أو بشيك ، فهو   لك لا عليك .

قلت : فما رأيك في الخروج على السلطان ؟

قال : لا تفعـل إلا إذا رأيت كفـراً عنـدك فيـه من اللـه برهان .

قلت : فإن حرمني وشتمني وظلمني ؟

قال : حسـيبك الملـك الـديان ، يـوم يوضـع المـيزان ، ويظهر البهتان .

قلت : فمـاذا يجعـل السـلطان من الصـلحاء ويحمله على نهج الخلفاء الأوفياء ؟

قال : إذا شاور العلمـاء ، وخـالف السـفهاء ، وجـالس الحكماء ، وصاحب الحلماء .

قلت : يا ابن عمران فماذا يفسد السلطان ؟

قـال : الاشـتغال عن الرعيـة ، والجـور في القضـية ، وعدم الحكم بالسويّة .

قلت : فماذا يلزم السلطان حتى يعان ؟

قال : تنفيذ الحدود ، وتقوية الجنود ، والوفاء بالوعود ، والالتزام بالعهود ، وإكرام الوفود .

قلت : فماذا يجب للسلطان على الرعية ، من الواجبات الشرعية ، والحقوق المرعية ؟

قال : الدعاء لـه بظهـر الغيب ، ولا ينشـر مـا فيـه من عيب ، وطاعتـه إلا في الحـرام ، والنصـح لـه في توقـير واحترام .

قلت : أخبرنـا بمـا في سـيرة الحكـام من العبر ، وما ورد فيهـا من أثـر ، فـإن اللـه ينفـع بالسير ؟

قال : انظروا ما ذكره اللـه في القـرآن ، ومـا سـطره في التأريخ والأعيان .

قلت : لماذا فسد الحجّـاج ، ووثب على الأمـة وهاج ؟

قـال : الرجـل باللـه مغـرور ، غـره المـدح والظهـور ، فأخذ يظلم ويجور .

قلت : فمن جُلاسـه ؟

قال : هم ما بين عامّي عـري عن العلم ، محـروم من الفهم ، أو فاجر مات قلبه ، وتبلد لبه .

قلت : ولماذا فسد الخليفة الأمين ؟

قـال : أقبـل على اللعب ، واشـتغل بـالطرب ، وأهـان أهل الحسب ، وقرب الوشب .

قلت : فلماذا أيد اللـه عمـر بن عبـد العزيـز ، وجعله في حرز حريز ؟

قال : الرجل اتقى ربه ، وخاف ذنبه ، وأصـلح مـا بينـه وبين الديان ، فعمّر الله به البلدان . ركب سفينة الســنة ، فأوصلته الجنة .

قلت : فأخبرنـــا بصــفات تصــلح الســلطان ، وتوصله الرضوان ؟

قال : عليه بصدق الصدِّيق ، وعدل الفـاروق ، وسـخاء عثمان ، وشجاعة عليّ إذا التقى الجمعان .

قلت : فمن أحق الناس بإكرام السلطان ؟

قال : عالم عامل ، وعابد فاضل ، وشيخ كبير ذابل .

قلت : فمن أحق الناس بعقوبة السلطان ؟

قـــال : الســـفهاء ، الـــذين يحتقـــرون العلمـــاء ، والمجاهرون بالمعاصي صـباحاً مسـاء . ومن يأخـذ حقـوق العباد بالاعتداء .

قلت : فلماذا أحب الناس الخلفاء الراشدين ؟

قال : لأنهم كانوا صادقين ، وبربهم واثقين ، وبرعيتهم رفيقين .

قلت : فلماذا سـقطت الدولـة الأمويـة ، وقـد كانت قوية ؟

قال : أخّر القوم الصـلاة ، وأكرمـوا العصـاة ، وجـاروا في الأحكام ، فانقلبت بهم الأيام .

قلت : فلماذا سقط بنو العبـاس ، وقـد كـانوا أهل نجدة وبأس ؟

قال : هجر القوم المثاني ، واشتغلوا بالأغـاني ، وملأوا القصور بالغواني ، وغرتهم الأماني .

قلت : فلماذا سقطت الدولة العثمانية ؟

قـال : قربـوا الصـوفية ، وحـاربوا الـدعوة السـلفية ، وأهـانوا الرعيـة ، واشـتغلوا بالملـذات الدنيويـة ، وأهملـوا الشعائر الدينية .

قلت : فمـا معـنى كلام ابن تيميـة : إن اللـه ينصر الدولة الكـافرة ، إذا كـانت عادلـة ويمحـق الدولة المسلمة ، إذا كانت ظالمة ؟

قــال : هــذا كلام صــحيح ، وفهم مليح . فالــدول إذا عـدلت قـرّت ، واسـتقرت ، وأعطاهـا اللـه الأمـان ، من روعــات الزمــان ، ومن مصــائب الحــدثان . وإذا ظلمت محقت وسحقت ، وتمزّقت وتفرّقت . وهذه سنة ماضية ، وحكمة قاضية .

قلت : ولماذا قال عمر على المنبر يـوم صـاح بطنه من الجوع وقرقر : قرقر أو لا تقرقر والله لا تشـبع حـتى يشـبع الفقـير المقـتر ، والشـيخ المعسر ؟

قال : عمـر إمـام العدالـة ، شـرح اللـه بالعـدل بالـه ، صـدق اللـه فأصـلح أحوالـه ، وجعـل التقـوى سـرباله . فسـيرة عمـر تخـوف الظـالمين ، وتـرهب الآثمين ، وهي قصة بديعة في العالمين .

قلت : ما رأيت الظالم طال عمره ، ولا حمـاه قصره ، ولا ارتفع قدره .

قال : أما تدري أن اللـه أخـرج كـل ظـالم من قصـره وجره ، وقطع دابره بالمـرة ، واستنـزله من برجه العاجي كأنه هرة .

قلت : مثل ماذا يا هذا ؟

قـال : عجبـاً لـك أمـا تعي ، وأنت بـالعلم تـدعي . أمـا أهلك فرعون وخرب داره ، وترك قصـوره منهـارة ، ودس أنفه في الطين كأنه فارة .

أما رأيت شاوشيسـكوا رئيس رومانيـا المهين ، مزقـه شعبه وهو لعين ، سحبوه في الشارع كأنه تنين ، فما كـان له من فئة ينصرونه وما كان من المنتصرين .

أما رأيت شاه إيـران ، السـفيه الغلطـان ، الـذي كـان بكأس الظلم سكران ،أكثر من السلب والنهب ، والضرب والصلب ، فطـرده شـعبه كـالكلب . فمـات في مصـر مـع فرعون ، وكتب في التاريخ الشاه الملعون .

أمــا رأيت مــاركوس رئيس الفلــبين ، أحــد الظلمــة الكاذبين ، أذاق قومه الويلات ، وأسقاهم كـأس النكبـات ، فمال عليه قومه ميلة واحـده ، فـإذا دولتـه بائـدة ، فصـار في العالم طريدا ، وأصبح في الأرض شريدا .

قلت : أرشدتني أنار الله فكـرك ، وأعلا ذكـرك ، وقـد حملت شكرك .

المقامَة

المقـامَــــة الجـامعـيَّـــة

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

اطلب العلم يعــرف المقصــود
وحصّــــــله فمن يحقر ما بـــــــذل

بكى زميلي في الجامعة عمـرو بن كُلثـوم ، كأنـه أكـل الثــوم ، فلمــا رأيت الــدمع ملأ عيونــه ، تــذكرت قــول الشاعر : بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه .

فقلت : ما لعينك دامعـة . قـال : من كـثرة العنـاء في الجامعة .

قلت : من صـبر ظفـر ، ومن ثبت نبت . فقـال زميلي عمرو ، وكأن في قلبه جمر : حدثنا عن دراستك في كليــة أصول الدين ، فإني لك بالنصح مدين .

قلت : كنت أدرس في أبها ، والعلم عندي من الشــهد أشهى ،لا أخرج من الحارة، من البيت إلى المنارة ، وقليلاً ما أركب السيارة . كـانت الكتب أغلى عنـدي من الـذهب، فإذا تفردت بكتاب ، نسيت الأصحاب والأحباب .

كنت أصــلي الفجــر ، ثم أجلس في مصــلاي لطلب الأجر ، فإذا داعبني النعاس ، قلت : لا مساس ، فـإذا غـدا الطير من وكـره وطـار ، وقضـيت وجبـة الإفطـار ، ذهبت إلى الكلية ، ونسيت الدنيا بالكلية .

وكأن زملائي أهل جد وجلد ، والكل منهم مثابر مجتهد . ذكرونا بالصحب الأول ، وكانوا من سبع دول ، اثنــان من **السعودية** ، أخلاقهم نديــة ، وصـداقتهم وديــة ، وآمــالهم وردية . وأربعة من **اليمن** ، تشتري صحبتهم بأغلى ثمن ، وأعدّها عليّ من أحسن المنن ، وواحد من **أوغنـدا** ، يهـد الدروس هدا ، كأنه ليث إذا تبدا ، وطالبان من **السـودان** أعذب من الماء عند الظمـآن ، وطـالب من دولـة **بنين** ، قـــوي أمين ، ومن **نيجيريـــا** أربعـــة طلاب ، يكرمـــون الأصحاب ، ويتحفون الأحباب ، وواحد من **الصومال** ، من خير الرجال ، مع صبر واحتمال . فإن اختلفنـا في الـديار ، فنحن إخوة في شريعة المختار .

فـاجتمع في الفصـل اللسـان ، والألـوان ، واللّغـات ، واللهجات ، من كل الجهـات . فصـرت أنـا بينهم كسـحبان وائل ، ولو أنني أعيا من باقـل . فكنـا في أحسـن زمالـة ، لا سـآمة ولا ملالـة ، ودرّسـنا أسـاتذة ، بعضـهم جهابـذة ، فكان منهم من يحضر وينظرّ ، ويأتي الفصل وهو مبكر .

تخاله من ذكـــــــــاءٍ

ومن تلهبه في العلم

ومنهم من كـان يقـرأ علينـا من صـحف اكتتبهـا ، فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا ، فكان يرتل علينا المقـرر تـرتيلا . وربمـا تعب فقـال لنـا : ضـعوا تحت هـذه الكلمـة خـط ، ولا يزيد على ذلك قط .

ومنهم من كـــان يأخـــذ ثلث المحاضـــرة في تحضـــير الطلاب ، من حضر ومن غاب ، وربما دلسنا عليه الغياب ، وهو لا يدري بدهاة الأفارقة والأعراب . ويأخذ ثلثها الثــاني في تعريفنا بشخصه العظيم ، وما حصـل لـه من تكـريم ، فهو يردد علينا هذا الحديث السقيم .

وأما ثلثها الأخير فيشرح لنـا المقـرّر ، وقـد تبلـد ذهن كل منا وتحجّر ،مما سمعناه من الحديث المعطر .

ومنهم من شكانا وشاكيناه ، وأبكانـا وأبكينـاه ، فمـرة يشكونا للعميد ، فنسمع الوعيد والتهديد ، فنسخر ونقول :

الحمد لله على السلامة ، أسد عليّ وفي الحروب نعامـة ، وربما كتبنا فيه خطابا ، فيملؤنا سبابا ، ويقول : لن أخــاف من كيدكم ولا أقلق ، كما قال الأول : زعم الفرزدق .

ومنهم من عجب من إجابتي ، وكثرة إصابتي ، وأقسم لــو جــاز أن يعطى فــوق الدرجــة لأعطاهــا ، ولا يخــاف عقباهـا ، فأجـد الامتعـاض من الـزملاء ، ثم نعـود إلى جـو الإخاء . وقـد نظمت في الأسـاتذة بعض الأبيـات ، فيقـول الزملاء : بهذه الطريقة نلت الدرجات ، فيهمزون ويلمزون ، وإذا مــرّوا بنــا يتغــامزون . وربمــا أطلقت في الفصــل النكات ، فيهتز الفصل من الضحكات .

أذكر مرّة ، كـانت لحظـة مسـرة ، أن أحـد الـدكاترة ، وكانت أذهاننا معه فاترة ، قـال لنـا : إن الغـزالي صـاحب الأحياء مات والبخاري على صدره ، يقصد كتـاب الصـحيح، فقلت بلا اسـتحياء : هـذا أمـر عجيب ، وخـبر غـريب ، لأن البخـاري مـات في القـرن الثـالث ، والغـزالي في القـرن السادس ، فكيف يكون البخاري على صدر الغزالي .

فقــال الأسـتاذ : أنت قـد بلبلت بـالي ، قلت : قصـيدة البلبلــة لصــفي الــدين الحلي وهي مهلهلــة . ثم أنشــدتها بدون استئذان ، حتى أدخلتها الآذان ، ومطلعها :

يا بلي البــــــال قد

بالنوى زلزلتين والقلب

فقال الأستاذ وقد تميز من الغيظ : زدنا يـا عـائض من هذا الفيض .

فأنشدت :

فقلقلت بالهم الـذي

قلاقل عيس كلهن

والطلاب في ضــحكهم هــائمون . ثم قلت للأســتاذ : سامحني يا علم الأفذاذ ، فقد تذكرت بيت الأعشى :

وقد غــــــــدوت إلى

شــاوٍ مِشــِلٌّ شــلولٌ

وشجعني أن بضاعته من العلم مزجاة ، فقلت : أزجي الوقت كما أزجاه ، وإذا ذهب العلم فليذهب الجاه .

وكنت أستأذن بعضهم في أول كل محاضـرة ، ووجـوه الطلاب يومئذٍ ناظرة ، فأنظم أرجوزة ، أبياتهـا مهـزوزة ، فيتركني الأستاذ ولسـان حالـه يقـول : دعـوه على حالـه ، فالله هو الذي يهب العقول . ولا أفعل هذا إلا مع أستاذ هو كلّ على مولاه ، فأريد أن أجازيه على ما أولاه .

ومرة ذهبنا في رحلة برية ، فجعلـوني رائـد السـريّة ، فانذهل مـني المـدرب وتعجب ، واسـتغرب وتعـذب ، فلم أظهر له أنني عنيد ، بـل جعلت نفسـي كـأنني أبلـه بليـد ، فـإن صـاح فينـا : اسـتعد اسـترحت ، وإن قـال : اسـترح اســتعديت ، وإذا قـــال : إلى الأمـــام ســـر ، رجعْتُ إلى الورى ، وإذا قال : إلى الخلف در مشيت إلى الأمام ، وإذا طلب منا العد بالأرقام ، قفزت عشرين رقماً للأمام ، فإن كـان رقمي عشـرة قلت : ثلاثـون ، والنـاس يضـحكون ، والكـل مرتـاحون ، إلا المـدرب فقـد جـف ريقـه ، وظهـر حريقه .

وربما تساجلنا في بعض الأمسيات ، فأنظم في الحال الأبيات ، وليس هذا والله من المبالغات .

وربمـا أنشـد بعضـهم نصـف بيت سـابق ، فأكملـه من عندي :

نحن الـذين صـبحوا

فقلت :

وقد أكلنا المـــوز

وقال آخر :

حــتى إذا جن الظلام

فقلت :

سـمعت صـوت القط

وكان أستاذٌ يلحن في العربية ، فكنت أقول :

واللحن عند شـــيخنا

كقولهم مررت بالعجوزُ

وأنشدنا أستاذ الأدب بيت صفي الدين الحلّي

سل الرماح العــوالي

واستشـــــهد البِيض هل

فذكرت حالنا المعاصر ، فقلت :

سل الصـــــــــحون

واستشـــــهد الـــرُّزّ هل

وأرادوا في الكليـــة التشـــجيع ، فجعلـــوني الطـــالب المثـــالي في الحفـــل الختـــامي الوســـيع ، فجئت لآخـــذ الجـائزة ، والنفس بـالفرح فـائزة ، فكـان العميـد ينـاول الجـائزة المسـئول ، والمسـئول بـدوره يناولهـا الطـالب المقبـول ، فأخـذت الجـائزة من العميـد في اسـتعجال ، وسلمتها المسئول في ارتجال ، فضجت بالضحك القاعة ، لأنها حركة ملفتة خَدَّاعة .

وفي المرحلة الجامعية ، كـانت زمن الهمـة الألمعيـة ، والعزيمـة اللوذعيـة ، فقـد أعـانني الـرحمن ، على حفـظ القـــرآن ، وجودتـــه على الشـــيخ الربـــاني ، عبيـــد اللـــه الأفغاني ، وحفظت بعض المتون ، في بعض الفنون ، أمـــا القراءة والمطالعـة ، فكـانت شمسـها سـاطعة ، فلم يكن لي غير المطالعة عمل ، وهي أحسـن قـوة لـدي وأقصـى أمـل ، فـإذا خلـوت بالكتـاب ، فقـد اجتمـع عنـدي أفضـل الأصحاب ، وأحب الأحباب ، حينها لا يعادلـه عنـدي روضـة خضراء ولا حديقة فيحـاء ، فالكتـاب أشـرف صـاحب على الـــدوام ، وخـــير جليس في الأنـــام ، وكنت أتعجب ممن لا يطالع ، أو يقضي وقته في الشارع . وقد أقبلت على علم الحديث بانكباب ، وقبل ذلك كنت منهمكاً في الآداب .

أما المقرر فلم أذاكره إلا وقت الامتحـان ، لأنـني أراه أقل من أن يصرف له كل الزمان . وفترة الجامعة ، كانت أخصـــب فـــترة عنـــدي لحضـــور المخيّمـــات ، والـــرحلات والأمسيات ، ونظم المقطوعات والأرجوزات ، وما تـأثرت

في تلك الأيام ، بأستاذ ولا شيخ ولا إمام ، كتأثري بزميلين ، ماجدين ، عابدين ، صادقين .

أحـدهما : النيجـيري عبـد الرشـيد ، وكـان عنـدي من أصـدق من رأيت في عبـادة الحميـد المجيـد ، كثـير قيـام الليـل ، بعيـد عن القـال والقيـل ، لا تـراه إلا ذاكـراً ، أو مذاكرا ، أو شاكرا ، له أذكـار وأوراد ، وهـو عليهـا معتـاد ، وقد رزقه الله بسطة في الجسم ، وحباً للعلم . وأخـبرني بأن جدته دعته إلى العبادة ، حتى صار قيام الليل له عادة .

والثاني : سراج الرحمن ، من باكستان ، وقد ملأ اللـه قلبه بالإيمان ، أكثر نهاره صامت ، وبالليل قانت ، متواضع ، خاشع ، طائع ، مضرب المثل في النبل والفضل .

وكان لي زميل إفريقي درس في باريس ، فكان يلقي الشبه على هيئة التدريس ، وكان مبغضـا للعـرب ، فلقينـا منـه العجب ، فكـان إذا أورد شـبهة انتفض ، وأقـوم وأعترض، فربما غضب وأزبد ، وأرعد وتهدد ، فيغضـب لي كـل الفصـل لأنـه متطـاول متوعـد ، وهـو مفتـون بحب فرنسـا ، حب لا ينسـى ، وقـد أغضـبنا بالسـفه والطيش ، ولكننا نغصنا عليه العيش . ولما تخرجنا من الكلية ، كـانت النتيجة حصلتُ على الأولية ، ومـع الامتيـاز هديـة، وألقيت قصيدة عربية منها :

أيها الخـــريج يا نجم
يا شـــــعاع الأمل
قل هو الـرحمن آمنا
واتبعنا هادياً من يـثرب
من بلادي يطلب
يطلب العلم من الغـرب
وبها مهبط وحي

أرسل الله بها خير نبي

فلما انتهيت من القصة ، قلت لزميلي عمرو ، هذا كل ما في الأمر .

ولك مني الدعاء والشكر .

المقـامَـــــة الـشيطـانيـــة

﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

هب الشبيبة تبـدي   مـــا بـــال أشـــيب

قال عبد الله بن آدم : حاورت الشيطان الـرجيم ، في الليل البهيم ، فلما سمعت أذان الفجـر أردت الـذهاب إلى المسجد ، فقال لي : عليك ليل طويل فارقد .

قلت : أخاف أن تفوتني الفريضة .

قال : الأوقات طويلة عريضة .

قلت أخشى ذهاب صلاة الجماعة .

قال : لا تشدد على نفسَك في الطاعة .

فمـــا قمت حـــتى طلعت الشـــمس . فقـــال لي في همس : لا تأسـف على مـا فـات ، فـاليوم كلـه أوقـات . وجلست لآتي بالأذكار ، ففتح لي دفتر الأفكار .

فقلت : أشـغلتني عن الـدعاء . قـال : دعـه إلى المساء .

وعزمت على المتاب . فقال : تمتع بالشباب .

قلت : أخشى الموت . قال : عمرك لا يفوت .

وجئت لأحفــظ المثــاني ، قـــال : رَوِّح نفســـك بالأغاني .

قلت : هي حرام . قال : لبعض العلماء كلام .

قلت : أحـاديث التحـريم عنـدي في صـحيفة . قال : كلها ضعيفة .

ومرت حسناء فغضضت البصر ، قال : ماذا في النظر ؟

قلت : فيــه خطــر . قــال : تفكــر في الجمــال ، فالتفكر حلال .

وذهبت إلى الـبيت العـتيق ، فوقـف لي في الطريـق ، فقال : ما سبب هذه السفرة ؟

قلت : لآخذ عمرة .

فقال : ركبت الأخطار ، بسبب هذا الاعتمـار ، وأبـواب الخير كثيرة ،   والحسنات غزيرة .

قلت : لابد من إصلاح الأحوال .

قـال : الجنـة لا تـدخل بالأعمـال . فلمـا ذهبت لألقي نصيحة ، قال : لا تجر إلى نفسك فضيحة .

قلت : هذا نفع للعباد . فقـال : أخشـى عليـك من الشهرة وهي رأس الفساد .

قلت : فما رأيـك في بعض الأشـخاص ؟ قـال : أجيبك عن العام والخاص .

قلت : أحمـد بن حنبـل ؟ قـال : قتلـني بقولـه : عليكم بالسنة ، والقرآن المنـزل .

قلت : فابن تيميــة ؟ قـال : ضـرباته على رأسـي باليومية .

قلت : فالبخـاري ؟ قال : أحرَق بكتابه داري .

قلت : فالحجـاج ؟

قــال : ليت في النــاس ألــف حجــاج ، فلنــا بســيرته ابتهاج ، ونهجه لنا علاج .

قلت : ففرعـون ؟ قال : له منا كل نصر وعون .

قلت : فصلاح الدين ، بطل حطين ؟ قال : دعه فقد مرّغنا بالطين .

قلت : محمد بن عبد الوهاب ؟

قال : أشعل في صدري بدعوتـه الالتهـاب ، وأحرقـني بكل شهاب .

قلت : فأبو جهـل ؟ قال : نحن له إخوة وأهل .

قلت : فأبو لهـب ؟ قال : نحن معه أينما ذهب .

قلت : فلينين ؟ قال : ربطناه في النار مع استالين .

قلت : فالمجلات الخليعـة ؟ قال : هي لنا شريعة .

قلت : فالـدشــوش ؟ قــال : نجعــل النــاس بهــا كالوحوش .

قلت : فالمقاهــي ؟ قال : نرحب فيها بكــل لاهي .

قلت : ما هو ذكركم ؟ قال : الأغانـي .

قلت : وعملكـم ؟ قال : الأمانـي .

قلت : وما رأيكم في الأســواق ؟ قـال : علمنـا بها خفّاق ، وفيها يجتمع الرفاق .

قلت : فحزب البعث الاشتراكي ؟

المقامَة

قال : قاسمته أملاكي ، وعلمته أورادي وأنساكي ∴

قلت : كيف تضل الناس ؟

قـال : بالشـهوات والشـبهات والملهيـات والأمنيـات والأغنيات .

قلت : وكيف تضل الحكام ؟

قال : بـالتعطش للـدماء ، وإهانـة العلمـاء ، ورد نصـح الحكماء ، وتصديق السفهاء .

قلت : فكيف تضل النساء ؟

قـال : بـالتبرج والسـفور ، وتـرك المـأمور ، وارتكـاب المحظور .

قلت : فكيف تضل العلماء ؟

قـال : بحب الظهـور ، والعجب والغـرور ، وحسـد يملأ الصدور .

قلت : فيكف تضل العامّـة ؟

قـال : بالغيبـة والنميمـة ، والأحـاديث السـقيمة ، ومـا ليس له قيمة .

قلت : فكيف تضل التجّـار ؟

قـــال : بالربـــا في المعـــاملات ، ومنـــع الصـــدقات ، والإسراف في النفقات .

قلت : فيكف تضل الشباب ؟

قـــال : بـــالغزل والهيـــام ، والعشـــق والغـــرام ، والاستخفاف بالأحكام ، وفعل الحرام .

قلت : فما رأيك في إسرائيل ؟

قال : إيـاك والغيبـة ، فإنهـا مصـيبة ، وإسـرائيل دولـة حبيبة ، ومن القلب قريبة .

قلت : فالجاحظ ؟ قال : الرجـل بين بين ، أمـره لا يستبين ، كما في البيان والتبيين .

قلت : فـــأبو نـــواس ؟ قـــال : على العين وعلى الرأس ، لنا من شعره اقتباس .

قلت : فأهل الحداثـة ؟ قـال : أخـذوا علمهم منـا بالوراثة .

قلت : فالعلمانيــة ؟

قـال : إيماننـا علمـاني ، وهم أهـل الـدجل والأمـاني ، ومن سمّاهم فقد سماني .

قلت : فما تقول في واشنطن ؟

قال : خطيـبي فيها يرطن ، وجيشي بهـا يقطن ، وهي لي موطن .

قلت : فما تقول في صَـدَّام ؟

فهتف يقول : بالروح والدم نفديك يا صدام ، يسلم أبو عدي على الدوام .

قلت : فما رأيك في الدعاة ؟

قال : عذبوني وأتعبوني وبهـدلوني وشـيبوني يهـدمون ما بنيتُ ، ويقرؤون إذا غنيتُ ، ويستعيذون إذا أتيتُ .

قلت : فما تقول في الصحف ؟

قال : نضيع بها أوقات الخلف ، ونذهب بها أعمار أهـل الترف ، ونأخذ بها الأموال مع الأسف .

قلت فمــــا تقـــول في هيئــــة الإذاعــــة البريطانيـة ؟

قال : نـدخل بهـا السـم في الدسـم ، ونقاتـل بهـا بين العرب والعجم ، ونثني بها على المظلوم ومن ظلم .

قلت : فماذا فعلتَ بالغـراب ؟

قـال : سـلطته على أخيـه فقتلـه ودفنـه في الـتراب ، حتى غاب .

قلت : فما فعلتَ بقـارون ؟

قال : قلت له : احفظ الكنوز ، يا ابن العجوز ، لتفوز ، فأنت أحد الرموز .

قلت : فماذا قلتَ لفرعـون ؟

قال : قلت له : يا عظيم القصر ، قل : أليس لي ملك مصر ، فسوف يأتيك النصر.

قلت : فماذا قلتَ لشارب الخمر ؟

قـال : قلت لـه : اشـرب بنت الكـروم ، فإنهـا تـذهب الهموم ، وتزيل الغموم ، وباب التوبة معلوم .

قلت : فماذا يقتلك ؟

قـال : آيـة الكرسـي ، منهـا تضـيق نفسـي ، ويطـول حبسي ، وفي كل بلاء أمسي .

قلت : فمن أحب الناس إليك ؟

قال : المغنّون ، والشعراء الغاوون ، وأهـل المعاصـي والمجون ، وكل خبيث مفتون .

قلت : فمن أبغض الناس إليك ؟

قـال : أهـل المسـاجد ، وكـل راكـع وسـاجد ، وزاهـد عابد ، وكل مجاهد .

قلت : أعوذ بالله منك ، فاختفى وغاب ، كأنمـا سـاخ في التراب ، وهذا جزاء الكذاب .

المقـامَــــة الأبــويَّــــة

﴿ يَابُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾

يـا كوكبـاً مـا كـان أقصــــر عمــــره　　**وكذا تكون كواكب الأســــــــــحار**

هذه المقامة ، لأبنائي وصية ، وهي أعظم هديَّة ، وإنما العمل بالنية .

اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، فمن فعل ذلك فـإن اللـه ظهـيره ونصـيره . وكـل مـا سـمعتم حـديثاً لصـاحب الشفاعة ، فقولوا : سمعاً وطاعة .

وأوصــيكم بــبر الآبــاء والأمهــات ، وأنهــاكم عن منــعٍ وهات ، وتضييع الصلوات ، واتبـاع الشـهوات . واللـه اللـه في تدبر المثاني ، وهجر الأغاني ، وترك الأماني .

واعلموا أنهـا قـامت عليكم الحجـة ، وبـانت المحجـة . وأوصيكم بتوقير شعائر الدين ، فإنها تقوى رب العـالمين . واستعدوا للرحيـل ، إلى الملـك الجليـل ، فـإنكم قـادمون إليــه عمــا قليــل . وإذا ســمعتم الأذان ، فــأجيبوا داعي الرحمن ، فليس بعد الأذان أعمال ولا أشغال ، بـل ذهـاب إلى بيت ذي الجلال .

وقــد دعيتم فــأجيبوا الــداعي ، بقلب واعي ، فــإني أخشى على من تهاون بتكبـيرة الإحـرام ، مـع الإمـام ، أن يحرم التوفيق على الدوام ، وأن لا يبلغه الله المرام .

ولقد نصــــحت ولي　　**ولِقِيت كل معلم**

فــــإذا النعيم وكل　　**يفـنى ويبقى سـعيكم**

واعلم أن من صحب الفسّاق ، ونقض الميثــاق ، ابتلاه الله بالنفـاق .ولا تقولـوا نحن في عصـر الصـبا ، وكم من سيف نبا ، وجَواد كبا ، فهـذا كلام من غـره بالله الغـرور ، حتى فاجأته قاصمة الظهور ، وطرح في القبور ، وتـذكروا ليلة صبحها يوم القيامة ، فما أكثر الأسف فيها والندامـة . وتذكروا أول ليلة في القبر ، فلا إله إلا الله ما أعظمه من أمر ، ليلة ليس فيها جليس ولا أنيس ، يرتجف لها القلب ، ويذهب من هولها اللب ، ليس معكم فيها صديق ولا رفيق . تخلى عنكم الأحباب وتـرككم الأصـحاب ، وجـردوكم من الثيـاب ، ووسـدوكم الـتراب . الأمـوال بعـدكم قسـمت ، والــبيوت ســكنت ، والزوجــات نكحت ، فــأين قلــوبكم والعقول ، ما لكم في ذهول ، وأنتم في نقول .

فارقعوا بالاستغفار مـا مزقتـه أيـادي الـذنوب الكبـار . واغســلوا بـدمع العيـون غبـار الـذنوب ، وتولـوا إلى علام القلـوب ، وعليكم بالسـكوت ، ولـزوم الـبيوت ، والرضـا بالقوت ، فإنه كاف لمن سيموت . والحـرص على تكبـيرة الإحرام ، وسـلامة الصـدور من الآثـام ، وإطابـة الطعـام ، وحسن الخلق مـع الأنـام ، عربـون صـادق لـدار السـلام . وطهروا القلوب من الإحن ، وألزمـوا السـنن ، وفـروا من الفتن ، تجدون عونـه عـز وجـل وقت المحن، مـع إسـباله عليكم ثوب المنن .

وأشرف تـاج تـاج الديانـة ، وثـوب الصـيانة ، والصـدق والأمانة ، والوقار والرزانـة . وثـوب الريـاء ثـوب مخـرق ، ورداء الكبر رداء ممزق . والعمـل بالسُّــنَّة ، أقـرب طـرق إلى الجنــة ، ومرافقــة الأشــرار ومصــاحبة الفجـار ، هي الخسار والبوار ، وهم الدعاة إلى النار ، ومن ألان كلامه ، ووصل أرحامه ، وبذل طعامه ، ونشر سلامه ، أكـرم اللـه في الجنة مقامه . وويل لمن كان خصمه لسـانه ، وأشـهد على نفسه إخوانه ، واستشار في أمـره شـيطانه وأرخص للشهوات إيمانـه . وخلـوة بكتـاب ، ودمعـة في محـراب ، وتواضع للأصحاب ، خير من القصـور والقبـاب . ومـا أقبح ممن نـاداه ربـه إلى المسـجد ، فتبلـد وتـردد ، ومن عـود

لسانه الذكر ، وقلبه الشكر ، وعقله الفكر ، وبدنه الصبر ، نال أعظم الأجر ، وحط عنه الوزر .

وكل لباس يبلى إلا لباس التقوى ، ومن كان في دنيـاه شقياً ، بمخالفة مولاه فهو في الآخرة أشـقى ، والمأسـور من أسره هواه ، والمخذول من عصـى مـولاه ، والمفلس من خاب مسعاه . وعليكم يا أبنائي بالصبر على المصائب ، والتجلـد للنـوائب ، ومجانبـة الغضـب ، والإجمـال في الطلب ، والإخلاص في الطاعة ، والزهد والقناعة .

واعلمـوا أنـه ليس معكم في شـدائد الزمـان ، غـير الواحد الديَّان ، فلا يغرركم كلام الإخوان ، فإن النـاس في وقت العافية أعوان ، واسـتنطقوا الـذكر الحكيم ، واتبعـوا الرسول الكريم ، وألزموا الصراط المستقيم .

واعلمـوا أن للـذنوب كَفّـارات ، وإن الحسـنات يـذهبن السـيئات ، وأنـه لا أنفـع من الصـالحات ، ولا أضـر من الموبقـات . وللـذنب من اللـه طـالب ، وعلى الضـمائر مراقب ، وللأعمال محاسب . واعلمـوا أن شـرفكم صـدق اللسـان ، ونسـبكم الإحسـان ، وكنـزكم الإيمـان . ولن ينقـذكم من النـار ، إلا طاعـة العزيـز الغفـار ، واتبـاع المختـار . واطلبـوا الكفـاف، واسـتتروا بالعفـاف ، وخـذوا وأعطوا الإنصاف ، فإن الحق كاف واف .

واسلكوا من الطرق الوسط ، ودعوا الغلو والشطط ، والتهور والغلط . واسمعوا مني نصيحة . اعلمـوا أن الـدنيا لا تساوي تسبيحة ، ولو كانت مليحة ، لجعلها الله لأوليائـه مريحة . وصـونوا أنفسـكم من سـؤال النـاس ، واسـتغنوا عما في أيديهم باليأس . واطلبوا العلم فإنه أجل المطالب ، وأعظم المواهب ، وهو أرفع من المناصـب ، وأكـرم من كل المراتب . وزينته العمل ، وخـوف الأجـل ، والاعتصـام بمـا نـزل . والـداء العضـال معـاداة الرجـال ، ومن سـالم الناس سلم ، ومن صمت غنم . والنـاس لا يطلبـون منكم الأرزاق ، وإنمـا يطلبـون جميـل الأخلاق . وأوصـيكم بالأذكـار ، في طـرفي النهـار ، فإنهـا عبـادة الأبـرار. ولا تهجروا تلاوة القرآن كل يوم . فإنه دواء الهموم والغموم .

وركعتان في السحر خير مما طلعت عليه الشمس والقمر ، ووقروا الكبير ، وارحموا الصغير .

واحــذروا أن يكــون لســان أحــدكم كــالمقراض في الأعراض ، فإن هذا من ضعف البصـيرة ، وخبث السـيرة ، ورافقـــوا أهـــل الصـــلاح، وأحبـــوا أصـــحاب الفلاح، ولا تستصـــغروا شـــيئاً من المعاصـــي ، وراقبـــوا من يأخـــذ بالنواصـــي . وقســـوة القلب يـــذيبها النـــدم ، والـــدمع المنسجم ، والأسف من الذنب المنصرم . ولا تتنعموا تنعم المـترفين ، ولا تـزرروا بأنفسـكم فعـل الشـحّاذين ، فـإن المبالغـة في الزينـة للنسـاء ، والوقاحـة للإمـاء ، والشـره للسفهاء ، فكونوا أنتم العلماء الحكماء . وأدمنوا الاستغفار كـل حين ، فإنــه مفتـاح رضـى رب العـالمين ، وهـو قـوة وتمكين ، وعلى كل كربة معين . ومن لم يراقب الحسيب ، ويردعه الشيب ، ويخاف العيب ، فليس له في الفضــيلة نصيب . وويل لمن غرتـه دنيـاه ، وخدعـه منـاه ، وصـرعه هواه . وطوبى لعبد إذا أنعم عليه شكر ، وإذا ابتلي صـبر ، وإذا أذنب اســـتغفر . وعليكم بتوقـــير الصـــحابة ، وحب القرابة ، مع لزوم مـذهب السـلف ، فهم أعلم وأحكم من الخلــف . حفظكم اللــه بالــدين ، وعصــمكم من نزغــات الشياطين .

المقـامَــــة الـصَّحفـيـــة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾

طوى الجزيرة حتى جـــــائني خــــبر — فزعت فيه بآمــالي إلى الكــــــــذب
حتى إذا لم يدع لي — شرقت بالدمع حتى

قال سعيد بن شهاب ، كنت في الشـباب ، أسـكن في حــارة العــزاب ، فتعلمت الثقافــة ، ودرســت اللقافــة ، وقلت : أعمــل في الصــحافة . فــذهبت إلى الســكرتير ، فقال : عليك بالمدير ، فذهبت إلى المـدير ، قـال : عليـك بــالوزير ، فــذهبت إلى الــوزير ، فقــالوا : عفــواً هــو في اجتماع مع السفير ، فكاد قلبي أن يطير . فقالوا : ما عنك يا شاب ، وفقت للصواب .

قلت : أريد أن أعمل لديكم مراسـلاً للأخبـار ، في بعض الديار .

قــال : لابــد أن تنقــل لنــا المصــائب ، والعجــائب والغرائب . فلا نريد منـك أن تقـول: فلان حفـظ القـرآن ، وانتصــر الأفغــان ، وأعلن فــوزهم الشيشــان ،فهــذا كلام مستهلك من زمـان . نريـدك تقـول مثلاً : تحطمت طـائرة اليابان ، وسقطت عمارة في لبنان ، وانفجـرت قنبلـة في اليونـان ، ومـاتت نعجـة في السـودان ، وانكسـرت رِجْـل قطة في باكستان .

وعليـك بتهويـل الخـبر ، حـتى يـذاع وينشـر ، فمثلاً إذا سقطت طائرة فقل : تناثر حطام الطـائرة تنـاثراً عجيبـاً ، وخلــف وراءه لهيبــاً ، وارتطمت بإحــدى العمــارات ، ممــا سبب كثيراً من الانفجارات .

قلت : فإذا لم نجد الأخبار ، ماذا نكتب للقـراء الأخيار ؟

قال : من جد وجد ، وعليك بأخبـار البلـد ، فقـل مثلاً : طلّق اليوم أبـو سـرور زوجتـه أم مسـتور ، لخلاف نشـب بينهم قبل شهور ، بسبب غلاء المهور .

وترقى أبو شريف ، إلى رتبة عريف ، بعد جهد عنيف ، وصبر منيف . وافتتحت اليوم بقالة ، في بلدة أبو عقالــة ، صاحبها مبروك بن مرزوق ، خلف ظهرك إذا دخل السـوق . وشاهد الناس اليوم شيئاً في السماء ، كأنه زخات مـاء ، فشـعروا بـالخطر ، وإذا هـو زخـات مطـر . وطـارد أحـد المواطـنين فـارة ، حـتى أخرجهـا من الحـارة ، فمـاتت عند الإشارة .

وتخـرج الطـالب سـليم بن هـذلول ، من أول ابتـدائي بتقدير مقبول .

ورسب الطالب خلف بن عسعوس ، في سبعة دروس ، وخيرهـا في غيرهـا .وانتطح ثـوران ، في بيت الجـيران ، ومر على هذا الحادث شهران .

قلت : فـإن لم نجـد أخبـارا ، فهـل تجـد لنـا أفكارا ؟

قال : عليك بأخبار الطقس ، فإنها خفيفة على النفس ، فقـــل مثلاً : هبت ريـــاح شـــرقية غربيـــة ، متجهـــة إلى المنطقة الجنوبية ، أحياناً تثير غباراً ، وأحيانا لا تثير غباراً . ترتفع في المرتفعات ، وتنخفض في المنخفضات . والبحر يميل إلى الحمرة ، تعلـوه عنـد الغـروب صـفرة . إذا هبت عليه الرياح هاج ، وإذا سكنت ماج .

قلت : فإن لم أجد عن الطقس ما أقوله ، ولا أجد أخباراً منقولة ؟

قال : عليك بالتاريخ ، ولو عن البطيخ .

قلت : مثل ماذا ؟ قال : انقل لنا الأخبار الخفيفـة ، الطريفة ، مثل : دخلت رمانة جارية هارون الرشيد ، وفي يدها عقد فريد ، فقال : ما هذا يا رمّانة ؟ قالت: هذا عقـد أخذته من قهرمانه . قال : ومن قهرمانه ؟

قالت : جاريـة مـولاتي عبدانـه . قـال : ومن عبدانـه ؟ قالت : هي التي تسـكن في الـزوراء ، ويعرفهـا الفقـراء ، فتعجب الخليفة ، من ذكاء رمانة ، وخاطب إخوانه، وقال : يا غلام أعط رمانة ألف دينار ، واجعلها من أهل الدار .

قلت : فإن لم أجد عن التأريخ ؟

قـال : عليـك بعلم الآثـار ، فإنـه قـرة الأبصـار ، وفيـه العظة والاعتبار .

فحـدثنا عن لجـام بغلـة ابن مقبـول ، الـذي وجـد في استنبول ، أو الحذاء المرقع المدفون، في عهد المـأمون ، أو عمامـة أبي دلامـة ، المدفونـة في كنيسـة القيامـة ، أو عصا حماد الراوية ، التي كسرت في قرية الزاوية .

قلت : فإن لم أجد ؟ قـال : فحـدثنا بمـا هبَّ ودبّ عن الطبّ . مثـل أن تخبرنـا بفوائـد شـحم الثعـالب ، إذا أذيب في قوالب ، ثم مزجت به طحـال أرنب ، مـع مرقـة فأر مركب ، ثم طليت بها الحـذاء ، فإنهـا تشـافي من داء الإعياء . أو خبر اكتشاف دواء ضد الموت ، في بئر هوت ، الذي اكتشفه دكتور برازيلي في الأرجنتين ، عثر عليـه في بريطانيا بعدما وجده في إيطاليا ، وبحث عنـه في ألبانيـا ، وأجــرى عليــه تجــارب في بلغاريــا ، وهــو الآن جــاهز للاستعمال في هنقاريا .

قلت : فــإن لم أجــد ؟ قـال : عليكم بالسياســة ، فإنها الطريق إلى الرياسة ، فحدثنا عن غزو أوغندا لبولندا ، وهجـوم هولنـدا على راونـدا ، وحـاول أن تـأتي بأسـماءٍ مجهولة ، لأن عقول الناس معقولـة ، وإذا لم تجـد أخبـاراً عربيّـة ، فاسرد علينا أخباراً غربيّـة .

فقل مثلاً : ماتت اليوم الآنسة سوزا ، مع كلبها كـوزا ، في قريــة شــمال غــرب نوقوســا، وســقط مــدير شــركة هوندا ، المستر برندا ، فمات قبل أن يتغـدا . والظـاهر أن الشيشان ، لهم نية في غزو داغستان .

قلت : الآن عرفت سر المهنة الشريفة ، فأنـا من اليوم مراسل الصحيفة . ولكن لمـاذا تجـرّون المرفـوع ، وتجزمـون المنصـوب والنحـو أمـامكم موضوع .

قــال : نحن في زمن كم من مرفــوع جَــرّه ، وكم من مخفوض رفعه بالمرة ، وكم من مجزوم نصبه لكل مسرّة ، فنحن نعرب الكلام ، على حسب حركات الأيام .

والسلام ختام .

مقـامَـــــة الـقلـــــم

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾

أنصـــــت لميميــــة مدادها من معــاني
جاءتـــــــك من أممِ نـــــــــــون والقلمِ
واكتب بـه أحـرفَ نـــوراً من الحـــق

يا أيها الذي جمع الحكم ، أما سمعت نـون والقلم ، إن القلم شأنه عجيب ، ونبؤه غريب ، نحيف الجســم ، عظيم الاسم ، جميل الرسم ، إن خط في القرطاس ، أنصت له الناس ، بالقلم تجهّز الجنود ، وترفع البنود ، وتوثق العقـود ، وتحل العهود، بحروفه تقضي المحاكم ، وترد المظــالم ، وتقطع الجماجم ، وتعقد المواسم ، إن غضب فجر الدماء، وأبــاد الأحيــاء ، وأشــعل حربــاً شــعواء ، وإن رضــي منح المــواهب ، وأعطى الرغــائب ، وأهــدى المناصــب ، من حروفه يجنى العسل ، وتسل الأسل ، إن شاء فمداده سم الحيات ، وأم النكبات ، وسبب البلايا الموجعات ، وإن أراد جعـل سـطوره نـورا ، وصـيرها سـرورا ، وملأهـا حبـورا ، ونمقها حسناً منشورا ، هو رسول القــرون الأول ، وخــادم الـدول ، وحافـظ الملـل والنحـل ، إذا سـال لعابـه ، كـثر صوابه ، وحضر جوابه ، وتزاحم عبابُه ، لا تسمع له كلاما ، ولكنه صار للحكمة إماما ، وللمعارف قائدا همامـا ، لفظـه أغلى من الياقوت ، بـه خـط الـوحي في الملكـوت ، وهـو الذي أخبرنـا بطـالوت وجـالوت ، وهـو أسـحر من هـاروت وماروت ، مصيبة القلم أنه يذيع الأسرار ، ولا يكتم الأخبـار ، ولا يقــر لــه قــرار ، إذا تشــجع ملأ الصــفحات ، وعبــأ المجلدات ، وبسط المختصرات ، وإذا جبن ألغــز وأوجــز ، وطلسم وأعجز ، وإن تحامل همز ، وغمـز ونـبز ، كتب بـه اللوح المحفوظ ، وسطر به العلم المحفـوظ ، وقســم بـه رزق المنحوس والمحظـوظ ، تخـاطب بـه الملـوك ، أهـل الآفاق ، وتقطع به الجبابرة الأعناق ، ويخوف به الفسّاق ، ويحذر به أهـل النفـاق والشـقاق، وسـوء الأخلاق ، بـالقلم

يقضى الأمر ، ويقـع القتـل والأسـر ، وينصـت لـه الدهر ، وتسطر وقائع العصر .

أمضى من الألسنة ، لفظهُ مـا أحسـنه ، يخـبر عن من مات من ألف سنة ، به تسطرّ كل سيئة وحسنة .

تصـبح الأوراق بـه في حسـن الريـاض ، ويسّـود بـه البياض ، ويذب به عن الأعراض، وبه تشفى الصـدور ، من العلل والأمراض .

فتاك سفاك بتاك هتاك . كتوم غشوم ظلوم عزوم

هـو الـذي كتب رسـائل الصـفاء ، وهـو دبّج أسـطر الوفاء ، وهو سجل أخبار الخلفاء، دون السؤال والجواب ، والشكوى والعتاب ، والخطأ والصواب، ومـا كنت تتلـو من قبلـه من كتـاب ، بريشـته تحـل المعضـلات ، وتشـرح المشـكلات ، وتصـان المـأثورات ، وتبقى المحفوظـات . يخطب بلا صـوت ، ويأكـل بلا قـوت ، ويجمـع بين الحيـاة والموت ، بـه يرسـم الهجـر والوصـل ، والولايـة والعـزل ، والجد والهزل .

به يقع العدل والحيف ، والحق والزيف ، وهو القاضـي على السيف ، به تنسخ المعرفة ، وتنقل الفلسفة ، وتخط الزخرفة . يسفسط ويقرمط ، وينسج ويدبّج ، يهدم بكلمة بناء عام ، ويلغي بجملة كيد أقوام ، له غمغمة ، وهمهمة ، وتمتمة .

كم من عقل قلقله ، ومن قصر زلزله ، ومن بال بلبله ، ومن كيـد أبطلـه . برسـائله عـرفت الأرض والسـماء ، وعلى رسـمه خلـدت آثـار الحكمـاء ، وبِتَصـرفه سـفكت الدماء ، وعلى حركته نسجت مآثر العلماء .

أفصح من اللسان ، وأحفـظ من الإنسـان . إذا حملتـه الأصـابع ، فـانتظر القـوارع ، وارتقب الفواجـع . لـه أزيـز كأزيز المرجـل ، ودبيب كـدبيب الأرجـل ، وحصـاد كحصـاد المنجل . عار من اللباس ، دقيق الـرأس ، قـوي البـأس ، عظيم الأثر في الناس .

يشرب ولا يأكل ، ويجيب ولا يسأل . إن عبأته مــدادا ، أحال بياضك سوادا . إذا غلــط غطش ، وإذا احتــد بطش . عقله مرهون ، وخصمه مغبون ، وعذابه غير مأمون .

إن خط بالأحمر قلت : هـذا شـفق ، أو دم على ورق ، وإن نسخ بالسواد ، صار المداد كنـون عيـون العبـاد . وإن كتب بالأخضر قلت : هذه طلعة بستان ، أو بهجة أفنان .

إذا سها رجع القهقرى ، وإذا شك مشــى إلى الــورى ، له رأس بلا عينين ، ولسان بلا شفتين ، وصدر بلا يدين ، لا يتكلم حتى يشبع ، ولا يخطب حتى يرضع، ولا يسكت حتى يوضع ، ولا يكتب حتى يقرع .

إن ســلطته على مختصــر شــرحه ، أو على غــامض أوضحه ، أو على سر فضحه ، أو على عاص نصحه .

إن كنت عربيــاً فهــو أفصــح من ســحبان ، وإن كنت أعجميــاً صــار أنطــق من الهرمــزان، يســمعك وليس لــه أذنـــان . إن نمت نـــام ، وإن قمت قـــام ، وإن جوّعتـــه صام ،وإن أهملته هام

متحــذلق يقظ فــإن أرســـــــــلته **أجــرى لعــاب رحيقه من صـــــــــدره**

والقلم بيانك ، وهو طوع بنانـك ، وهـو حاضـر الفكـر ، كثير الشكر ، صاحب ذكر ، إن حمله اللــوذعي ، وكتب بــه العبقــري ، ســالت أوديــة بقــدرها ، وانبجســت عين من حجرها ، وإن صحبه البليد ، وخط به الرعديد ، كثر عثاره ، وتبلد حماره ، وحجب عيونه غبـاره ، يوافـق المـزاج ، في الاستقامة والاعوجـاج ، والثبـات والارتجـاج ، مسـدد إلا إذا غضـــب ، ومليح إلا إذا عتب ، وفصـــيح إلا إذا حجب ، إذا انتهى زاده ، ونفذ مداده ، وقف جواده ، هوّنوا عليه اللــوم وأقلوا ، فانه لا يمل حتى تملوا ، إن لقنتـه حكمـة وعاهـا ، وإن أرسلته إلى ذاكرةٍ أخرج منهـا ماءهـا ومرعاهـا ، وهــو الــذي ســطر الحكمــة تســطيراً ، فلم يغــادر منهـا قليلاً ولا كثيراً ، ولا صـغيراً ولا كبيراً ، وإن قصـد أحـداً بـالأذى فلن تجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ، يــرقص على نبضــات

قلبك ، فإن أوقفت الإملاء نادى اذكرني عند ربك ، فذكرك غذاؤه ، وكفك حـذاؤه ، ومـدادك مـاؤه ، وجيبـك وعـاؤه ، يعرف طريق النجاة ، وهـو عظيم الجـاه ، يعـذر ولـو جئنـا ببضـــاعة مزجـــاة ، إن غلطت غلـــط ، وإن جهلت ركب الشطط ، لا يغفل الشكل والنقط .

صـمت الخطبـاء ومـا صـمت ، وسـكت الشـعراء ومـا سـكت ، ومـات الملـوك ولم يمت ، حـذر بـه المصـطفى الأكاسرة ، وأنذر به القياصرة ، وخوّف به الجبابرة ، صــدر به قتل الحسين ، وخط به خلع الأمين . وسطر به الــوحي في طـــور ســينين ، وروى لنــا الجمل وصــفين ، يشــعل الحرب ولا يحضرها ، ويستودع الأسرار فينشرها ، يتململ في كفك تململ السـليم ، ويتقلب تقلب السـقيم ، ويبكي بكاء اليتيم ، خط به أفلاطون كتاب الجمهورية ، وأقـام بـه المعتصم وقعة عموريَّة ، ونمّق بـه ابن تيميـة الواسـطيَّة ، والحمويَّة ، والتدمريَّة ، نقـــل لنـــا ســـيرة ابن إســـحاق ، وحديث عبد الرزاق ، وعجائب الآفـاق ، وأخبـار العشـاق ، نقض الصعلوك ، ودفع الشـكوك ، ونـادم المملـوك ، يفهم بالإشارة ، ويرسم العبارة ، إن كتب به الأحمق تـدفق ولم يـترفق ، وضـل ولم يوفـق ، وإن كتب بـه الرجـل الرشـيد جاءك بالقول السديد ، والعلم المجيد ، والنقل الحميد .

يطير العلم من الرأس ، فيقيده القلم في القرطاس ، وإذا حمله الأمي قال لا مساس ، مَؤدّب لا ينتقد ، و مقلّــد لا يجتهد ، يسهر بلا قيام ، ويجـوع بلا صـيام ، لـه كـل يـوم شجون ، وعنده من الحكمة فنون ، يخـون الحفـظ وهـو لا يخون ، صغير الجرِم ، كبير الجرُم

واسمع أبا تمام يصف الأقلام في أبدع كلام :

لك القلمُ الأعلى الـــذي بشـــباته تُصـــــابُ من الأمر الكُلى والمفاصـــلُ

لعـــابُ الأفـــاعي القـــاتلات لعابُـــهُ وأرْيُ الجنا اشـــتارته أيـــدٍ عواســـلُ

لــهُ ريقــةٌ طــلٌّ ولكنَّ وقعَها بآثـــارهِ في الشـــرقِ والغـــربِ وابـــلُ

فصــيحٌ إذا اســتنطقتَهُ وهو راكبٌ وأعجمُ إن خاطبتـــهُ وهو راجـــــلُ

إذا ما امتطى الخمسَ اللطـــافَ وأفـــرغت عليـــهِ شـــعابُ الفكـــرِ وهي حوافـــــلُ

أطاعتهُ أطــرافُ القنا وتقوَّضت لنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجحافـــــلُ

مقـامَـــــة الكتـــاب

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾

أعـــــز مكـــــان في الدنى سرج ســابح
وخـــــير جليس في الزمـــــان كتـــــابُ

عليـــك بالكتـــاب ، فإنـــه خـــير الأصـــحاب ، وهـــو روح المؤانســـة ، وقـــوت المجالســـة ، أقســـم اللـــه بالكتـــاب المسـطور ، في رق منشـور ، لأن الكتـاب كنـــز الإفـادة ، وعنوان السعادة ، وهـو أمين لا يخـون ، وعزيـز لا يهـون ، إن حملته في النـادي شـرفك ، وإن جهلت أحـداً عرفـك ، يقوي جنانك ، ويبسط لسانك ، بالكتاب يجلس الصعلوك ، على كراسي الملوك، يقوم الزلل ، ويسد الخلل ، ويطـــرد الملل ، ويشافي العلل ، يحفظ الأخبار، ويـروي الأشـعار ، ويكتم الأســـرار ، ويبهج الأبـــرار ، وهـــو أشـــرف لـــك من المـــال ، وأطـــوع لـــك من الرجـــال ، وأنســـى عنـــدك من العيال ، وبه تبلغ الكمال .

مِللت كل جليس
إلا الكتـــــــاب فلا يعدلهُ
عاِشـرته فـأَراني كل
له عليَّ رعـــــــــاه اللهُ

والكتـاب إذا خـان الصـديق وفى ، وإذا تكـدر الزمـان صفا ، ينسيك جحـود الجاحـد ، وحسـد الحاسـد ، وضـغينة الحاقد ، خليل ما أملحه ، وصاحب ما أصلحه ، وصامت ما أفصحه ، يقـرؤ في كـل زمـان ، ويطـالع في كـل مكـان ، على اختلاف الأعصـار ، وتباعـد الأمصـار ، بشـير ونـذير ، ونديم وسمير ، إذا وعظ أبكاك ، وإن حـدث أشـجاك، وإذا فـــرح أضـحكك ، وإذا بشـــر أفرحـــك ، ســـليم من العيب ، يحمـــل في الجيب ، لا يشـــرب ولا يأكـــل ، ولا يغضـــب ولا يجهل ، إن هجرته حفظ ودك ، وإن طلبته صار عندك .

يغنيــك عن الأرحــام ، والأحبــاب والأصــحاب ، فخــير جليس في الأنام كتاب .

يقـودك إلى الكرامـة ، ويبعـدك من الندامـة ، ويطـرد عنك السآمة ، هو نسب ما أشرفه ، وهو بوابـة المعرفـة ، وخلاصـة الفلسـفة ، يصـلك بأسـاطين التفسـير ، من كـل عالم نحرير ، وإمام شهير ، ومحقـق بصـير ، ويحضـر لـك المحدثين ، أهل الروايـة الصـادقين ، والدرايـة العـارفين ، وجهابذة النقل الواعين .

ويجمع لـك الفقهـاء ، رواد الشـريعة الغـراء ، وأربـاب الفهم الأذكياء ، ويتحفك بقصيد الشـعراء ، ونتـاج الأدبـاء ، وبيان البلغاء ، وإنشاء الفصحاء .

يا حروفاً قد أضـاءت في الصـــــحفْ	**أخبرتـــني بأحـــاديث الســــــــلفْ**
[illegible]	[illegible]

جـزى اللـه الكتـاب ، أفضـل ثـواب ، فقـد أغنـاك عن البخلاء ، وكفـاك الثقلاء ، وأجلسـك مـع النبلاء ، وعرّفـك بالفضلاء ، يوفي لك الكيل ، ويقصّر عليك الليل ، هو تاجك في كل نـاد ، وأنيسـك في كـل واد ، وهـو سـلوة الحاضـر والباد ، وخير ما أنتجه العباد .

أما تـــــراه خفيف الجسم موضـــــعه	**على الصــــدور وبين الأنف والمقـــــلِ**
هو الـــــذي فّخم	**به الملـــوك وأهل**

اصرف له أثمن الأوقات ، وأنفق عليه أعظم الهبـات ، ولا تطع فيه أهل الشهوات .

هـو الـذي حبّب إليـك الزمـان ، وأجلسـك في صـدر المكـان ، قـال القـط : يـا أيهـا البـط، أخـرج من الشـط ، فالتفت إليه ورد عليه وقال : يا سيد الجهـاد ، لـو كنت من القــراء، لمــا أعظمت الافــتراء ، أمــا طــالعت في كتــاب الهجرتين ، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

ليس المجد حلي وآنيـة ، ولا دف وغانيـة ، ولا قطـوف جانية.

وليست السـعادة كنــز ، وبنــز ، وبـز ، وجنــز ، ورز ، وقز ، فهذا ليس بعز .

وليس السؤدد ، بنود ، وجنود ، وحشود ، ووفود .

لكن المجــد والسـعادة ، والشــرف والســيادة ، علم أصـيل ، وبرهـان ودليـل ، وكتـاب جليـل ، يغنيـك عن كـل خليل .

المقـامَــــة الـطبـيّـــة

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

كيـــف أشــكو إلى والذي قد أصـابني
طبيــــبي مـــا بي من طبيــــــــبي
زاد في جرعــــــة مهجتي في منازل

وجدنا كتابـاً لابن سـينا ، بعـدما أغفلنا ذكـره ونسـينا ، فـــإذا هو يقـــول ، ورأيه مقبـــول: ما أهلك البَرِيّة ، وقتل البهائم في البَرِّيّة ، إلا إدخال الطعام على الطعام ، وتـرك المشي على الأقدام . ثم قال : عليكم بالنوم بعد الغـداء ، والمشي بعد العشـاء ، وتـرك الامتلاء ، والغـذاء خـير من الدواء .

وكنا جلوساً ، فجاءنـا أحـدهم برسـالة من جـالينوس ، فإذا هو يقـول : يـا أهـل العقـول ، لا يغتسـل أحـدكم وهـو شبعان ، ولا يأكل إلا وهو جوعان ، ولا ينم وهو من الطعام ملآن ، ولا يقطع الليل وهو سهران .

وقـــــال من اقتصد في الطعــــام ، وقلل من الكلام ، وهجر الاهتمام والاغتمـام ، عـاش في صـحة وسـلام ، أما سمعتم شاعركم ابن الرومي ، ليت عندنا شاعراً مثله من قومي :

فــإن الــداء أكــثر ما
يــــــركب من طعامك

قلنا : يحق للمتنـبئ المجيد ، أن يقـول عنك لما مـدح ابن العميد :

من مخــبر الأعــراب
جالست جـــــالينوس

قـال : بلغـوا كلامي لابن الحسـين ، وقـالوا : شـكراً مرتين .

قلنا : وقد ذكرك فقال في بعض الأمثال :

يمــوت راعي الضــأن

ميتة جالينـــــــوس في المقامَة

فهمهم وتمتم وما تكلم .

ثم جاء صديقنا أبو عثمـان الغـازي ، فقلنا : حـدثنا عن أبي بكر الرازي .

قال : حسبتكم تتحدثون عن الحب ، وإذا بكم تتكلمون عن الطب .

قلنا : دعنا من الشـــجون والعيـــون ، وحـــدثنا عن الصحون والبطون ، فضحك حـتى بـدت نواجـذه ، وقـال : مـات الطب وجهابـذه . ولكن أبا بكر ، طيب الـذكر ، كـان يـدنينا ولا يقصـينا ، وينصـحنا ويوصـينا . فيقـول : الحسد يـذيب الأجسـام ، والحقد لا ينفع معه طعـام ، والبغضـاء لا يهنأ معها منام ، والذكر يشرح الصدور ، ويجلب السـرور ، ويسـهل الأمـور ، ويـدخل على النفس النـور ، وإيـاكم والمسكر ، فإنه داء أكبر ، وحرام منكر .

قلنا : أنت حـدثتنا عن طب الأبـدان ، ونعـرف أنك فيه من الأعيـان ، فحـدثنا عن طب القلـوب ، فقد نسـيناه من كثرة الذنوب .

قال : أما سمعتم ابن المبارك ، وهو في الأدب شارك ، حيث يقول :

رأيت الـــذنوب تميت
وقد يورث الذل إدمانها

وتـرك الـذنوب حيـاة
وخـير لنفسك عصـيانها

قلنا فماذا قال طبيب العيون ، فإنه ثقة مـأمون ، قـال سمعته ينشد :

وأنت مــتى أرســلت
لقلبك يومـــــاً أتعبتك

رأيت الذي لا كله أنت

عليه ولا عن بعضه أنت

قلنـا فمـاذا قـال طـبيب الأذن ، قـال دخلت عليـه بلا إذن ، فسمعته ينشد :

لِا تسـمعنّ الخنا إن

فـالأذْن نقالة والقلبُ

المقامَة

وصن سمعاك عن لَغو

قد تـدخل النـاس في

قلنا فماذا قال طبيب الـولادة ، فإنـه ظـاهر الإجـادة ؟ قال :

ولـدتك أمك باكيـاً والنـاس حولك

مستصرخـاً يضـحكون سـرورا

فاعمل لنفسك أن في يـوم موتك

قلنا : فمـاذا قـال طـبيب الباطنيّة ، فإنه طيّب النيّة ، قال سمعته ينشد :

أكل الحـرام يثـير في البطن لا يدري

داءً دائمـاً به الجـراحُ

فكل الحلال فـرزق إن الذى تـرك الربا

قلنـا : فمـاذا قـال طـبيب العظـام ، فإنـه من الرجـال العظام ، قال سمعته ينشد :

عظامك أنقـذها جهنم فالأجسـام

ولحمك من لظى تُشـوى وتحـرقُ

وإياك إياك الحـرام تقطع أوصـال به

قلنا : فماذا قال الطبيب النفسي ، قـال سـمعته ينشد ، حين يصبح وحين يمسي :

يا نفـس هل من ضـاع الزمـان وأنت

توبـة مقبولة في العصـيان

أو ما تـرين المـوت كم راع يوم الـروع

قلنـا : فمن أعظم طـبيب ؟ قـال : محمـد الحـبيب ، صـاحب النهج العجيب ، والـرأي المصـيب ، قلنـا : أوصـنا بوصية ، لينة غير عصية ، فأنشد :

خذ ما أردت من العلاج فإنه   لابد من مـــــــوت يقطع ذا العـــــرى

مـــــات المــــداوي   صـنع الـدواء وباعه

المقـامَـــــة الـتجـاريّـــــة

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾

فصـــاحة ســـحبانٍ وحكمـــــة لقمـــانٍ
وخـــــــط ابن مقلةً وزهـــــــد ابن أدهمِ
إذا اجتمعت في ونوديْ عليه لا يساع

قال أبو ريال ، دينـار بن مثقـال : لا تصـدق من قـال : أكثر التجار فجار ، فقد رأيت منهم قومـاً يتصـدقون ، وفي سبيل الله ينفقون ، وعلى الفقراء يغدقون .

قلنا : يا أبا ريال ، يا خير الرجال ، فما للتجار يبنون ما لا يسكنون ، ويدخرون ما لا يأكلون ، مــا لهم على ربهم لا يتوكلون ؟ قال : هذا من البطـر ، والـترف والأشـر ، ومن فعل ذلك فهو على خطر :

ومن ينفق الســاعات
مخافة فقر فالذي فعل

قلنا : حدثنا عن التجار الصالحين ، والأغنيــاء المفلحين ، قال : يكفيك عثمـان بن عفـان ، أرضى بماله الـرحمن ، وأرغم به الشيطان ، واشترى به الجنـان ، جهز في غـزوة تبوك الجنود ، وشرى بئر رومة من اليهود ، وله في سبيل الله مواقف وجهود .

ولا تنســوا عبد الــرحمن بن عــوف ، الــذي جمع بين الرجاء والخوف ، جاءته قافلة من الشام ، تحمل الطعام ، فقسمها على الأيتام ، واشترى بذلك دار السلام .

قلنا : فقص علينا قصة التاجر الفاجر ، أميّة بن خلف ، الذي جعل الله ماله للتلف .

قال يكفيكم : ويل لكل همزة لمزة ، الــذي جمع مــالاً وعدده ، يحسب أن ماله أخلده

قلنا : فهل للتاجر الخاسر علامات ، وهل له سمات .

قــال : إذا رأيته يأكل وحــده ، ويمنع رفــده ، ويمسك نقده ، ويغضب ممن يجلس عنده

قلنا : فلماذا بعض التجار ، يصـاب بالضـغط والسـكر ، قــال : لأنه في كل لحظة يفكر ، ولا يشــكر ، ولا يــذكر ، ومزاجه معكّر ، وخاطره مكدّر .

ذكر الفــتى عمْــره

ما قاته وفضول العيش

أمراض التجار : فقر الدم ، وكثرة الهم ، ودوام الغم .

فأما فقر الدم : فمن قلة الغذاء ، لأنه مشغول عن الفطور والغداء ، غائب عن العشاء .

وأما كثرة الهم : فلانشغال باله بالسندات ، وتعلقه بالشــيكات ، وانصــرافه إلى العقــارات ، وتفكـــره في الواردات والصادرات .

وأما دوام الغم : فلحرصه على الزيــادة ، وتــذكره أولاده وأحفــاده ، فتــذهب عنه الســعادة ، ويشــغل عن العبــادة . وأحب أبــواب العلم إلى التــاجر البخيل ، بــاب الحث على الاقتصاد . وأثقل باب عليه باب الجود والأجواد .

ثم قال : ولا تنس حديث : "ذهب أهل الدثور بـالأجور" ، فهــؤلاء أهل العمل المــبرور ، والســعي المشــكور ، والتجـارة الـتي لا تبـور ، وهم الـذين بنـوا المسـاجد ، لكل راكع وسـاجد ، وأطعمـوا الفقـراء والمسـاكين ، وأسـعفوا البؤسـاء والمحتـاجين ، وبـذلوا المـال والطعـام ، وكفلـوا الأيتام ، فهم يجمعون الحسنات كل حين ، وتذكر حـديث : ((لا حسد إلا في اثنتين)) .

قلنا : فما أحسن المكاسب لمن أراد التجــــارة ، أهو الــبيع أم الإجــارة ؟ أم المنصب والــوزارة ؟ أم الزراعة والعمارة ؟

قال : أما البيع فإذا سلم من الغش والكذب ، والخداع واللعب ، فهو أعظم سبب ، لنيل الفضة والذهب :

لا تبع في السوق ديناً

واحفظَنْ دينك من نــار

المقامَة

وأما المنصب : فنصب ، ووصب ، وتعب

نصب المنصب أوهى

يا عنــائي من مـــداراة

وأما الإمـــارة فنعمت المرضـــعة ، وبئست الفاطمة ، ويعترضها أمور قاصمة :

يســـرك أني نلت ما نــــــــــال جعفر	**من الملك أو ما نال يحـــــيى بن خالد**
وأن أمـير المؤمـنين	**مغصّـــــــــــهما**

وأما الزراعة ، فهي لأهل المســـــكنة والضـــــراعة ، ويجتنبها أهل البراعة ، لأنها تعب وإجهـــاد ، وصـــدود عن الجهاد :

إذا زرع القــــــــوم

فزرعك أغلى من نخيل

وأما العمـارة ، فتـارة وتـارة ، بين الـربح والخسـارة ، صادقة غدارة .

يا عامـراً لخراب الدار

بالله هل لخــراب الــدار

ولكن أحسن المكاسب ، معاملة الفتّاح الواهب ، فهــو الرزاق ذو القوة المتين ، الـذي لا يضـيع عمـل العـاملين ، وإحسان المحسنين .

فإذا رأيت الناس كنـزوا أموالهم في البنوك ، وأحرزوا عقارهم بالصكوك ، وأحـاطوا حـدائقهم بالشـبوك . فاكنـز حسناتك في بنك الرحمن ، وأحــرز عملك من الشـيطان ، وأحط نيتك من البغي والعدوان . فمن صـفّى من الحـرام ديناره ، وعمر بالتقــوى داره ، وأكـرم جـاره . فقد أحسن معاملة مولاه ، وشكر ربه على ما أولاه .

واعلم أن للتجارة آدابا ، وقد ذكر لها العلمـاء أسـبابا ، وسوف أذكرها باباً بابا .

فمنها الصدق في النطق ، واللطف بالناس والرفق .

ومنها البكــور ، والطيــور في الوكــور ، في سـعي مشكور ، لطلب ما قسمه الغفور الشكور .

ومنها السلامة من الربا ، فإنه وبا ، ومصـاحبة الأمانة ، ومجانبة الخيانة ، وملازمة الصيانة ، وأداء زكاة العرض ، ومسـاعدة المحتـاج بالصـدقة والقـرض ، يجد ثوابه يـوم العرض

وتحـبيس الأوقـاف ، على الفقـراء الضـعاف ، وإكـرام الأضـياف ، والمحافظة على أوقــات الصـلوات ، وإخلاص النية في الصدقات ، فمن فعل ذلك فهو مأجور مشــكور ، وهو من أهل الدثور ، الذين ذهبوا بالأجور .

واعلم أن الشـــحيح ، عمله قـــبيح ، والكـــريم له أجر عظيم ، ولا ساد إلا من جاد ، وبذل معروفه للعباد .

واعلم أن من جعل ماله في صُرَّة ، ومنع بِـرّه ، أخـذه الموت على غِرّة .

وقد عاصــرنا تــاجراً كريما ، كــان فضــله في النــاس عميما ، كـــان في كل بـــاب خـــيرٍ من المتـــبرّعين ، وعن الحرام من المتورّعين . فلما مات كـان موته على النـاس من أعظم الخطوب ، ترك جرحاً في القلوب .

وعرفنا تاجراً بخيلا ، عـاش طـويلا ، كـان من ماله في حياته محروما ، وذهب وتـــــرك ماله مـــــذموما ، فلا انتفع بماله في دنيـاه ، ولا قـدم منه لأخـراه ، وقد مـات غريبا ، ومن ماله سـليبا ، حـتى تصـدق عليه بعض النـاس بكفن ، وصارت هذه آية لأهل الفطن .

وقد قال المختار : ((تعس عبد الدينار)) ، لأنه يهــدي صاحبه إلى النار .كما أن الدرهم قد يدور بالهم ، والــذهب قد يوصل إلى لهب ، والفلوس قد تذهب بالنفوس .

وختم أبو ريـال المقـال ، بعد أن تحـدث عن المـال ، فقال :

الله أعطــاك فابــذل
فالمــــال عاريّة والعمْرِ

المــــال كالمــــاء إِنْ
يأْسَـن وإن يجـرِ يعــذبِ

مقـامَـــــة الـمتنـبي

((شـاعـر الدنيــا وشـاغـل الناس))

لقيت أبا الطيب أحمد بن الحسـين ، بعد بضع سـنين ، وهو من الشعراء المحسنين .

فكلما سألنا عن الأخبار ، أجاب بالأشعار :

قلنا : من أنت ؟

قا ل **أنا الـــــذي نظر الأعمى**

وأسـمعت كلمـاتي من به

الخيل والليل والبيــــداء

والسـيـــــف والـــــرمح

قلنا : أما ترى السفهاء ، ينالون العظماء .

قا ل **وإذا أتتك مــذمتي من**

فهي الشــــــهادة لي

قلنا : نراك تعبت في طلبك للمجد .

قا ل **جـــزى الله المســـير**

وإن تــــــرك المطايا

قلنا : أما ترى أن المجد يتعب ؟

قا ل **لــولا المشــقة ســادَ**

الجـود يفقر والإقـدام

قلنا : نرى السلف يتأثرون عند سماع القـرآن ونحن لا نتأثر ؟

قا ل **لا تعذل المشـتاق في**

حتى يكون حشـاك في

مقامَة

قلنا : نرى المنافق أحياناً يبكي ؟

قا إذا اشتبكت دموع في

تـــــبين من بكى ممن

قلنا : نرى واحداً من الناس يعادل أمة في الفضل ؟

قا وإن تَفُقِ الأنـام وأنت

فـــإن المسك بعض دم

قلنا : نرى لك حسّاداً كثيرين ؟

قا أبـــدو فيســـجد من

فَلا أعاتبه صـــــــفحاً

قلنا : بعض الناس غلب عليه سوء الظن ؟

قا إذا ســاء فعل المــرء

وصــدق ما يعتــاده من

قلنا : القوميّون العرب يهددون إسـرائيل من خمسـين سنة ؟

قا وإذا مـا خـلا الجـبــان

طلـب الطعـن وحـــده

قلنا : نعرف أغنياء ألسنتهم سخيّة وأيديهم بخيلة .

قا جـــود الرجـــال من

من اللسـان فلا كانــوا

قلنا : من يتأمل الشريعة يملكه حبها .

قا وما كنت ممن يملك

ولكَن من ينظر عيونك

مقامَة

قلنا : نسمع لأعداء الإسلام شبهات يثيرونها عنه ؟

قال: ولله سِــــرٌّ في علاك
كلام الورى ضــرب من

قلنا : ما رأيكم في الدنيا ؟

قال: لحا الله ذي الدنيا فكل بعيد الهم

قلنا : والمال ؟

قال: إذا المــال لم يــرزق
فلا الحمد مكســوبا ولا

قلنا : بعضهم يستطيع أن يكون أفضل فلا يفعل ؟

قال: ولم أر في عيـــــوبٍ
كنقص القــادرين على

قلنا : عرفنا من تمنى الموت لسوء حاله .

قال: كفا بك داءً أن تـــرى
وحسب المنايا أن يكن

قلنا : بعضهم لا يتأثر بالنقد .

قال: من يهن يســــهل
ما لجــــرح بميّت إيلام

قلنا : نحن نردد اسم الرسول ولو قصـرنا في العمل بسنته .

فقال: نحن أدرى وقد ســـألنا
أطويل طريقنا أم يطولُ
وكثـــير من الســؤال
وكثـــير من ردِّه تعليــــلُ

مقامَة

قلنا : بُلينا بمثقفين عندهم ألقاب بلا حقيقة .

قال: أُعيــذها نظــراتٍ منكِ
أن تحسب الشــــحم

قلنا : أظنه لابد من مجاملة بعض الناس في هذه الحياة .

قا ومن نكد الـــــدنيا عـــــــدوّاً له ما من

قلنا : كان للعلماء قدر عند الناس واليوم جُهِلَ قدرهم .

قا أتى الزمانَ بنــوه في

فســـره وأتينـــاهُ على

قلنا : نرى العظماء لا يبالون بالمصاعب .

قا إذا اعتاد الفتى خوض

فأهـــــــون ما يمر بهِ

قلنا : بعض الناس يستفيد من نكبات الآخرين .

قا كــذا قضت الأيـــام ما

مصائب قوم عند قــوم

قلنا : ما رأيك في الزمان .

قا ربما تحسن الصــــنيع

ـه ولكن تكدر الإحسانا

قلنا : والمـوت .

قا المـوت آتٍ والنفـوس

والمســــــتغر بما لديه

قلنا : الذين ينكرون الحقائق .

قا وكيف يصح في

إذا احتــاج النهــار إلى

مقامة

قلنا : ومن خير جليس ؟

قا أعز مكــان في الــدنا

وخير جليس في الأنام

قلنا : هل الرأي أفضل أو الشجاعة ؟

قا هو الـــــــرأي قبل أولٌ وهي

قلنا : ما أحسن وسيلة لقضاء الحاجات ؟

قا من اقتضى بســـوى

أجَـاب كل ســؤالٍ عن

قلنا : أراك تجامل الناس

قا ولما صــار ود النــاس

جـــزيت على ابتســـام

قلنا : وكيف حالك الآن ؟

قا وِحيد من الخلان في

إذا عظم المطلوب قل

قلنا : نراك تسرف في المديح أحيانا .

قا وقد أطــــال ثنـــائي

إن الثنـاء على التِّنبـالِ

قلنا : نراك أحياناً لا تصل لمقصودك .

قا ما كِل ما يتمنى المرء

تجـــري الريـــاح بما لا

قلنا : متى تزور أحبابك ؟

قا أزورهم وظلام الليل

وأنثني وبيـاض الصــبح

قلنا : ما رأيك في شعرك ؟

قا وما الدهـر إلا من

إذا قلت شــعراً أصــبح

قلنا : ما رأيك في اللئام ؟

قال: إذا أنت أكـــــرمت الكـــــريم ملكته ... وإن أنت أكـــرمت اللـــئيم تمـــردا

قلنا : ما رأيك في الناس ؟

قال: إنا لفي زمن تـــــرك

من أكـــــثر النــــاس

قلنا : نراك تحسن القول ولا تعطي شيئاً .

قال: لا خيل عنـدك تهـديها

فليسـعد النطق إن لم

قلنا : بعضهم يسهر على اللهو وبعضهم على العبادة .

قال: ما الــذي عنــده تــدار

كالـــذي عنـــده تـــدار

قلنا : ما رأيك في أهل العشق ؟

قال: تفـــنى نفوســـهمو

في إثر كل قبيح وجهه

قلنا : ماذا تقول في مقام الرسول ؟

قال: إذا تغلغل فكر المـــرء

من مجـده غـرقت فيه

قلنا : لماذا عاداك حسادك ؟

قال: أعادى على ما يــوجب

وأهـــدأ والأفكـــار فيّ

قلنا : يسيء لنا بعض الناس فنستفيد من إساءتهم ؟

قال: رب أمر أتــاك لا تحمد

ل فيه وتحمد الأفعــالا

قلنا : بعض العداوة نافعة .

قا ومن العـــداوة ما ومن الصـداقة ما

قلنا : بماذا عاقبت حسادك ؟

قا إني وإن لُمت أنكر أني عقوبة

قلنا : ما أحسن الحلل الملبوسة ؟

قا ورفلت في حلل عـدم الثنـاء نهاية

قلنا : ما أحسن ما خلّف الإنسان بعد موته ؟

قا كفل الثناء له برد لما انطوى فكأنه

قلنا : بعضهم يكثر من الحلف ؟

قا وفي اليمين على ما دل أنك في

قلنا : من أحق الناس بالمجد ؟

قا أحقهمو بالمجد من

وبالأمـر من هـــــانت

قلنا : ما الأمن والخوف ؟

قا وما الخـــــوف إلا ما

وما الأمن إلا ما رآه

قلنا : نحن بين خوف ورجاء .

قا وأحلى الهوى ما شك

وفي الهجر فهو

مقامَة

قلنا : بلينا والدهر ما بَلي .

قا إذا ما لبست الدهـر

تخرقت والملبــوس لم

قلنا : نحن نحاول كتم مشاعرنا فما نستطيع .

قال

بـادٍ هـواك صـبرت أم

وبكاك إذ لم يجر دمعك

قلنا : بعضهم يضع من علماء الإسلام .

قال

من كــان فــوق محل

فليس يرفعه شيء ولا

قلنا : ما وصف من أراد العلياء ؟

قال

كثير سـهاد العين من

يؤرقه فيما يشـــــرفه

قلنا : تزداد همتنا عند قراءة سير السلف ؟

قال

فلا تسمعاه ذا المديح

شـجاع مـتى يـذكر له

قلنا : أظنه لا يُهرب من المـوت ؟

قال

نعد المشـــــــرفية

وتقتلنا المنـــــون بلا

قلنا : بعضهم لا يرضى إلا بالمحل العالي .

قال

على قـدر أهل العـزم

وتـــأتي على قـــدر

قلنا : ما رأيك في الحمَّى ؟

قال

وزائرتي كأن بها حياءً

فليس تـــزور إلا في

قلنا : والفراق ؟

قال

لـولا مفارقة الأحبـاب

لها المنايا إلى أرواحنا

قلنا : صف لنا نفسك ؟

قال خلقت ألوفـــــاً لو لفـــارقت شـــيبي

قلنا : أما ترى فصاحة بعض الناس ؟

قال إذا ســـــمع النـــــاس

خلقن له في القلــوب

قلنا : ما أحسن صفات المتقي لربه ؟

قال عليك منك إذا أخليتَ

لم تــــأت في السر ما

قلنا : بعضهم يخشع ظاهره فحسب ؟

قال وإطراق طـرف العين

إذا كـان طـرف القلب

قلنا : ما أجمل كلام ؟

قال فهو المُشـــــــــيَّع

وهو المضـاعف حسـنه

قلنا : هل للموت من طبيب ؟

قال وقد فــــارق النــــاس

وأعيا دواء المــوت كل

قلنا : الناس اختلفوا في معاني أبياتك ؟

قال أنام ملء جفـوني عن

ويســهر النــاس جرّاها

مقامَة

قلنا : أُدميت قدما رسـول الله ﷺ لما عـاد من الطـائف فما تعليقكم ؟

قال إن كـــان ســـركمو ما

فما لجرح إذا أرضاكمو

قلنا : أما ترى سب المنافقين لأهل الدين ؟

قال : ما أبعد العيب

أنا الثريا وذان الشـيب

قلنا : نحن نطمع في لقاء رسولنا في الآخرة .

قال : وما صـــبابة مشـــتاق

من اللقاء كمشتاق بلا

قلنا : عندنا شريعة فهل نضيف إليها تجارب الآخرين .

قال : خذ ما رأيت ودع شيئاً

في طلعة البـــــدر ما

قلنا : ماذا تقول لو طلب منك وصف الرسول ؟

قال : الشـــــمس من حســـاده والنصر من | قرنائه والســـيف من أســــــمائه
أين الثلاثة من ثلاث خلاله | من حسـنه وإبائه ومضـــــــائه
ولقد أتى وعجزن

قلنا : هل لحسد الحاسد من دواء ؟

قال : ســـــــوى وجع الحســـاد داو فإنه | إذا حل في قلب فليس يحـــــول
ولا تطمعَنْ من | وإن كنت تبـــديها

قلنا : لمن يكتب النصر ؟

قال : لمن هــوَّن الــدنيا على النفس ساعة | وللبيض في هـــام الكرام

مقامَة

قلنا : لو عدت شيخ الإسلام وهو مريض فماذا تقول ؟
قال : كنت قلت :

المجد عــــوفي إذ عـــوفيت والكـــرم — **وزال عنك إلى أعـــــدائك الألم**
صَـــحَّت بصــــحتك الغـــارات وابتهجت — **بها المكارم وانهلت بها الـــــديم**
وراجع الشـمس نـور — **كأنما فقــــده في**

قلنا : بعض الناس يتقدم إلى المعالي بشجاعة ؟

قال : **هو الجد حــــتى** — **وحتى يكون اليوم**

قلنا : كيف نعاقب الأحرار إذا أخطؤوا ؟

قال : **وما قتل الأحـــرار كـــالعفو عنهمو** — **ومن لك بـــــالحر الـذي يحفظ اليـدا**

قلنا : هل تصلح الشدة مكان اللين والعكس ؟ **قال :**

ووضع النــــدى في موضع السيف بالعلى — **مضر كوضع الســـيف في موضع النـــــدى**

قلنا : ماذا تقول لحبيبك لو مرض .

قال : **وإذا صح فالزمــان صـــــــحيح** — **وإذا اعتل فالزمــــان عليل**

قلنا : أما تخشى أن يشوه الإسلام من قبل بنيه .

قال : **وكيف تعلّك الـدنيا بشـــــــيء** — **وأنت بعلّة الــدنيا طـــــــبيب**

قلنا : ألا ترى كيف تقلب بنا الزمان .

قال : **وصـــرنا نــرى أن المتـــارك محسن** — **وأنّ خليلاً لا يضر وصـــــــولُ**

قلنا : نشكو قلة الإنصاف من أهل زماننا .

قال : **ولم تـــــزل قلة**

بين الرجال وإن كـانوا

قلنا : أحياناً نشكو ما بنا إلى الأصحاب .

قال : **ولا تَشَـــكَّ إلى خلـــقٍ**

شـــكوى الجـــريح إلى

قلنا : كيف نعامل الناس ؟

قال : **وكن على حـــــذر للنـــاس تســـتره** — **ولا يغرك منهم ثغر مبتســـــــمِ**
غـاض الوفـاء فما — **وأعوز الصـدق في**

قلنا : هل يشعر الناقصون بنقصهم ؟

قال : كـدعواك كـلٌّ يـدّعي

ومن ذا الذي يدري بما

قلنا : معنا علمـــاء بين أظهرنا ونـــرى النـــاس لا يستفيدون منهم .

قال : وليس الــذي يتبّع الوبل رائـــــداً كمن جـــاءه في داره رائد الوبل

قلنا : خلاصة تجربتك مع الناس ما هي ؟

قال : ومن عـرف الأيـام معرفــــتي بها وبالنـــــاس روى رمحه غــير ظــالم

فليس بمرحوم إذا ولا في الــــردى

قلنا : هل تحب الهدية ممن تحب ؟

قال : وما أنا بالبـــاغي على الحب رشـوة ضعيف هوىً يبغي عليه ثوابا

قلنا : هل من رسالة ؟

قال : يا من يعز علينا أن

وجـــداننا كل شـــيء

قلنا : وداعاً .

قال : رحلت فكم بـــــاك

عليّ وكم باك بأجفـان

قلنا : لا تبك على فراقنا .

قال : قد كنت أشـــفق من

فاليـــــــوم كل عزيز

المقـامَـــــة الـشِّـفـائـيـــة

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

((طهـور إن شـاء الله))

مـــــرض الحـــبيب فمرضت من
فزرته خـــــــــوفي عليه

أيها المريض ، على السرير العريض ، طهور ما أصابك ، وكفــارة ما نابك ، والله قد أجابك . مع كل ونّة ، نســيم من الجنة ، ومع كل رنة ، بشرى من السنة .

بشر المريض بعافية ، أو رحمة وافية ، أو كفّارة كافية ، أو نفحة من الله شافية :

تمـــــوت النفــــوس
ولم يـــدر عوادها ما بها

وما أنصــــفت مهجة
أذاها إلى غـــير أحبابها

أيها المرضى لا تكونوا يائسـين ، أو أَسِـفين ، وردّدوا : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

بقي أيــوب ، في البلايا والخطــوب ، ماله مســلوب ، وجسمه منكوب ، فنادى علام الغيوب ،﴿ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ، فعاد من السالمين الغانمين .

بشر من أصــابه الوصب والنصب ، بقصــور في الجنة من قصب ، إذا صبر واحتسب.

لا تقل : آه ، ولكن قل : يا الله .

كيف أشــــــكو إلى
والـذي قد أصـابني من

إذا أصابك جرح ، فلا تقل أح ، لأن الصبر يقول هـذا ما يصح ، ولا يســتحق من شــكا المــدح . ســبحان من أحبك فابتلاك ، ليسمع نجواك ، وليصـعد إليه بكـاك ، وترتفع إليه شكواك .

نحن ما زلنا على العهد ولو ... قطعت منا على العهد رؤوس
كلما ذقنا من الهجر ... أشـــــرقت في حب

هنيئـــاً لك أنت على ســـرير التطهـــير ، وعلى كرسي التكفير ، ترعاك عناية اللطيف الخبير .

الرحمة عليك تهبط ، والخطايا تسقط ، أدخلك الكير ، لتخرج ذهبا ، إذا ســلب ما أعطى فطالما وهبا ، واعلم أنه يدخر لك أجراً عجيبا ، وثواباً طيبا .

ما دام أنك منكسر القلب ، ملقىً على جنب ، فـــأنت قريب من الرب ، لا يغرنك المنافق فهو عير على شـعير ، وبعير على شفا بير ، تأتي ضربته قاصدة ، ونفسه جامــدة ، وروحه جاحدة ، فهو كشجرة الأَرْزة ، منتصبة ، متصلبة ، وفي لحظة وإذا هي متقلبة .

أما أنت يا مؤمن فأنت كالخامة مع ريح الشمال ، مرة من يمين ومرة من شمال ، لأنك شجرة جمال وجلال .

والله لو أحرقـــــوني في الهـــــوى حمما ... ما اخــترت غــيركمو في الكـــون إنســانا
منكم دوائي ودائي ... أرى بلاءكمو في

يا أيها المســــلم المبتلى ، حظك اعتلى ، وثمنك غلا ، وغبار المعصية عنك انجلى .

والله إنك أحب إلى ربك من المنــــافق الســــمين ، والفــاجر البطين ، والعاصي الثخين ، كما أخــبر الصــادق الأمين .

المنافق كالخروف ، يسمن للضيوف ، ثم يذبح بسكين الحتوف .

والمؤمن جواد يضـمّر ، ليقطع السـير المقـدّر ، ويصل إلى المحل الموقّـر .

ألا بلغ الله الحمى من يريـــــــــده ... وبلّغ أطراف الحمى من يريـــــــــدها

دع الشحم يـذوب ، وتـذهب الـذنوب ، وتخشع النفس وتتوب ، ويعود القلب عـودة حميـدة ، وترجع الـروح رجعة مجيدة .

يا أهل الأسِرّة البيضاء ، هنيئاً لكم هذا البلاء ، وأبشروا بالشـفاء . أو بمغفـرة تغسل الأخطـاء ، ورحمة أعظم من الدواء .

المـرض يـذهب الكـبر والبطر ، والعجب والأشر ، لأن الرزايا إلى الجنة مطايا ، والبلايا من الـــــرحمن عطايا ، وإلى رضوانه مطايا ، ابتلاك بالأسقام ، ليغسل عنك الآثام .

فــــافرح لأنه رشــــحك للعبوديّة ، لأن البلاء طريقة محمديّة ، يبتلى الناس الأمثل فالأمثل ، والأفضل فالأفضل ، والأكمل فالأكمل .

إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، وطهّرهم وجلاّهم

إنْ كــان سـركمو ما

فما لجرح إذا أرضاكمـو

كــان رســولنا ﷺ يوعك كما يوعك رجلان ، لأنه حــبيب للرحمن ، كامل الإيمان ، تام الإحسان .

مرض عمـران بن الحصـين ، الصـحابي الأمين ، ثلاثين عاما ، حمل فيها أسقاما ، وذاق آلاما ، فقال له أصــحابه ، وطلب منه أحبابه ، أن يدعو ربَّه ليكشف كربه ، قال : كلا أحبه إليّ أحبه إلى ربي ، ولعله يغفر ذنبي .

وكـانوا يفرحـون بالبلية ، ويعـدونها عطية ، ونفوسـهم بمواقع القــــدر رضيـة ، ويـــرون المحنة منحة ، والترحة فرحة ، لأنهم تعرفوا على الخالق ، فعرفهم الحقائق .

لعــلَّ عتبك محمــود

فربمــا صحـت

اصبر على مرارة دواء المصيبة ، لترى أحوالاً عجيبة ، فعافيتك قريبة ، والرِّضا بمُــــــرِّ القضا ، ولو على جمر الغضى ، وحرّ اللّظى .

اسجد على الجمر في

إيـــاك أن تشـــتكي في

بوّابةُ البلاء ، لا يدخلها إلاّ الأولياء ، ويـرد عنها الأدعيـاء ، واسأل عن ذلك تاريخ الأنبيـاء . البلاء أعظم لأجـرك ، إذا قوي أيـوب صـبرك ، تريد الجنة بلا ثمن ، وأنت ما مرضت من زمن ، وفي غفلة العافية مرتهن .

المرض صيحة تفتح الأسماع والأبصار ، وتذكر الأسرار ، وتنفض عن الصالحين الغبار ليكونوا من الأطهار الأخيار .

إذا ابتلى الله العبد بالســقم ، وســلّط عليه الألم ، ثم شافاه مَنَّ عليه بلحم ودم ، وما شاء من نعم ، وإن توفـاه غفر له ما تأخر وما تقدم ، من الذنب واللمم .

إذا مرضت ذهب الظمأ بـــالغفران ، وابتلت العـــروق بالرضــوان ، وثبت الأجر عند الــديّان ، وهــذّب القلب من الكبر والطغيان .

كلا إن الإنســان ليطغى ، أن رآه اســتغنى ، وإلى زينة الـــدنيا يصــغى ، فعلم الله أن تهذيبه في تعذيبه ، وتقريبه في تأديبه . كلما ضرب العبد سوطا ، عاد إلى الله شــوطا :

يا نائماً فوق السـريـرِ

مـرت على آلامه أعـوامُ

أبشـر فــإن الله زادك

في كل مكـــــــروه أتى

هذا المرض حماك من فعلة شنعاء ، ووقاك من داهية دهياء ، وكَفّر عنك آثار الفحشـاء ، ورفـرفت به روحك من الأرض إلى السماء .

بـــالمرض يجــول القلب في ســماء التوحيد ، وتطــير الــروح في فضــاء التجريد ، ويغسل البــدن بمــاء الإنابة ، ويفتح الله للمريض بابه ، ويسارع إليه بالإجابة .

عند المريض رسالة من ربه ، كتبت حروفها في قلبه ، فحواها : أحببنـاك فأدبنـاك ، وبـالمرض قربنـاك ، وبـالبلاء هذبناك .

ويقبح من ســـــواك

وتفعله فيحسن منك

إبل الهـدي تتقـدم شـوقاً للرسـول وبيـده الحربة ، تنتظر منه الضــربة ، لتــذوق حلاوة الألم ، من كف ســيد الأمم ، وأنت تتــبرم بــالبلاء ، وهو عتــاب من رب الأرض والسماء :

وقلتم معــــاذ الله أن

لغـــــيركمو مهما حملتم

فها نحن عاتبنـــــاكمو

يخون وصــرتم بعد هــذا

أيها المــــــريض : أســـــأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يشفيك .

المقـامَـــــة الـرمـضـانـيّـــة

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾

((ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجـر إن شاء اللـه))

مرحباً برمضان ، شهر التوبة والرضوان ، شهر الصلاح والإيمان ، شـهر الصـدقة والإحسـان ، ومغفـرة الـرحمن ، وتزين الجنان ، وتصفيد الشيطان .

مرحبـاً أهلاً وسـهلاً   يا حبيبـــاً زارنا في
بالصـــــــيام   كل عـــــــام

هذا شهر العتق والصدق والرفق ، رقاب تعتق ، ونفوس ترفق ، وأياد تتصدق ، باب الجود في رمضان مفتوح ، والرحمة تغدو وتروح ، والفوز ممنوح ، فيه ترتاح الروح ، لأنه شهر الفتوح ، هنيئاً لمن صامه ، وترك فيه شرابه وطعامَه ، وبشرى لمن قامَه ، واتبع إمامَه . القلب يصوم في رمضان ، عن اعتقاد العصيان ، وإضمار العدوان ، وإسرار الطغيان .

والعين تصوم عن النظر الحرام ، فتغض خوفاً من الملك العلام ، فلا يقع بصرها على الآثام . والأذن تصوم عن الخنا ، واستماع الغنا ، فتنصت للذكر الحكيم ، والكلام الكريم . واللسان يصوم عن الفحشاء ، والكلمة الشنعاء ، والجمل الفظيعة ، والمفردات الخليعة ، امتثالاً للشريعة . واليد تصوم عن أذية العباد ، ومزاولة الفساد ، والظلم والعناد ، والإفساد في البلاد. والرجل تصوم عن المشي إلى المحرّم ، فلا تسير إلى إثم ولا تتقدّم .

والله ما جئتكمو زائـــــــــــراً **إلا وجـــــدت الأرض تُطـــــــــــوى لي**
ولا انثنت رجلي عن **إلا تعـثرت بأذيـالي**

أما آن للعصاة أن ينغمسوا في نهر الصيام ، ليطهــروا تلك الأجسام ، من الآثام . ويغســلوا ما علق بــالقلوب من الحرام .

أما آن للمعرضين أن يدخلوا من باب الصائمين ، على رب العالمين ، ليجدوا الرضوان في مقام أمين .

إن رمضــان فرصة العمر الســانحة ، وموسم البضــاعة الرابحة ، والكفة الراجحة ، يــوم تعظم الحســنات ، وتكفّر السيئات ، وتُمحى الخطيئات .

إن ثياب العصيان آن لها أن تخلع في رمضان ، ليلبس الله العبد ثياب الرضوان . وليجود عليه بتوبة تمحو ما كان من الذنب والبهتان .

إن مضى بيننا وبينك عتب **حين شــــطت عنا وعنك الـــــــــديارُ**
فـــالقلوب الـــتى **والـــدموع الـــتى**

في رمضــان كــانت فتوحاتنا ، وإشــراقاتنا ، وغزواتنا ، وانتصاراتنا .

في رمضان نزل ذكرنا الحكيم ، على رسولنا الكريم ، وهو سر مجدنا العظيم .

في رمضـــان التقى الجمعــان ، جمع الـــرحمن وجمع الشــيطان ، في بــدر الكــبرى يــوم رجح مــيزان الإيمــان ، ونسف الطغيان ، وانهــزم الخســران . في رمضــان فتحت مكة بالإسلام ، وتهاوت الأصــنام ، وارتفعت الأعلام ، وعلم الحلال والحرام .

في رمضـــان كـــانت حطين العظيمة ، يـــوم انتصـــرت رايـــات صـــلاح الـــدين الكريمة ، وارتفعت الملة القويمة ، وصارت راية الصليب يتيمة .

صـــيام النفس في رمضـــان عـــزوف عن الانحـــراف ، والانصراف والإسراف والاقتراف ، فــالنفس تعلن الرجــوع

، والقلب يحمل الخشوع ، والبدن يعلوه الخضـوع ، والعين تجود بالدموع .

لشهر رمضان وقار فلا سباب ، ولا اغتيـاب ، ولا نميمة ، ولا شتيمة ، ولا بذاء ، ولا فحشاء ، وإنما أذكار واسـتغفار ، واستسلام للقهار ، فالمسلمون في رمضان كما قيل :

هينـــــون لينـــــون　　　أهل العبـــــــــــادة
أيســـــار بنو يُسْـــرٍ　　　حفـــاظون للجـــارِ
لا ينطقـــــــون عنً　　　ولا يمـــــــارون إنَ

مردة الشياطين في رمضان تصفد بالقيود ، فلا تقتحم الحدود ، ولا تخالط النفوس في ذلك الزمن المعدود .

إذا سـابّك أحد في رمضـان فقل إني صـائم ، فليس عندي وقت للخصام ، وما عندي زمن لسـيء الكلام ، لأن النفس خطمت عن الخطيئة بخطام ، وزمّت عن المعصية بزمام .

إذا قاتلك أحد في رمضـان فقل إني صـائم فلن أحمل السـلاح ، لأنـني في موسم الصـلاح ، وفي ميـدان الفلاح ، وفي محراب حي على الفلاح .

اغسل بنهر الـــدمع　　　تنسى الـــذي قد مر

كان السلف إذا دخل رمضان ، أكثروا قراءة القــرآن ، ولزموا الذكر كل آن ، ورقعوا ثـوب التوبة بـالغفران ، لأنه طالما تمزق بيد العصيان .

هــذا الشـهر هو غيث القلـوب ، بعد جـدب الـذنوب ، وسلوة الأرواح بعد فزع الخطوب .

رمضان يذكرك بالجائعين ، ويخبرك بأن هناك بائسـين ، وأن في العـالمين مسـاكين ، لتكـون عونـاً لإخوانك المسلمين .

فرحة لك عند الإفطـــــار ، لأن الهم ذهب وطـــــار ، وأصبحت على مائدة الغفار ، بعد أن أحسنت في النهار .

وفرحة لك عند لقـــــاء ربك ، إذا غفر ذنبك ، وأرضى قلبك .

بعض السلف في رمضان لزم المسـجد ، يتلو ويتعبد ، ويسبح ويتهجد .

وبعضهم تصـدق في رمضـان بمثل ديته ثلاث مـرات ، لأنه يعلم أن الحسنات ، يذهبن السـيئات . وبعضـهم حبس لسـانه عن كل منكر ، وأعملها في الـذكر ، وأشـغلها بالشكر .

هـذا شـهر الآيـات البينـات ، وزمن العظـات ، ووقت الصدقات ، وليس لقراءة المجلات ، والمسـاجلات ، وقتل الأوقات ، والتعرض للحرمات .

سلام على الصائمين إذا جلسوا في الأسحار ، يرددون الاسـتغفار ، ويزجـون الـدمع المـدرار . وسـلام عليهم إذا طلع الفجر ، وطمعـوا في الأجر ، تـراهم في صـلاتهم خاشعين ، ولمولاهم خاضعين .

وسلام عليهم ساعة الإفطـار ، بعد ذلك التسـيار ، وقد جلسـوا على مائـدة الملك الغفـار ، يطلبـون الأجر على عمل النهار .

سـبحان من جـاعت في طاعته البطـون ، وبكت من خشـيته العيـون ، وسـهرت لمرضـاته الجفـون ، وشـفيت بقربه الظنون .

ما أحسن الجوع في سبيله ، ما أجمل السـهر مع قيلة ، ما أبرك العمل بتنـزيله ، ما أروع حفظ جميلة .

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... **عن الطعام وتلهيها عن الزاد**

لها بوجهك نور تستضيء به ... **ومن حديثك في أعقابها حادي**

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هداية للبشرية ، وصلاحاً للإنسانية ، ونهاية للوثنية . القرآن حيث أصلح الله به القلـوب ، وهـدى به الشـعوب ، فعمت بركته الأقطـار ودخل نوره كل دار .

سـمعتك يا قـرآن قد

سـريت تهز الكـون

المقـامَــــة الأَخباريّـــة

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾

بينا تـرى الإنسـان فيها مخـــــبراً **ألفيته خــــبراً من الأخبـــــــارِ**
طبعت على كـــدر **صفواً من الأقـذار**

هذه أخبار الموحدين ، من أنبـاء الأنبيـاء والمرسـلين ، وعباد الله الصالحين، من إذاعة إياك نعبد وإياك نستعين .

إليكم موجـز الأنبـاء :

- إبــراهيم الخليل ينجو من النــار ، بقــدرة العزيز الجبار .
- يوسف يلتقي بأبيه يعقـــوب بعد غيـــاب طويل ، وصبر جميل .
- موسى الكليم يضــــرب البحر بالعصى فينفلق ، وينجو من الغرق .
- محمد ﷺ يعلن التوحيد ، الــــذي هو حق الله على العبيد .
- **في بـــدر :** هزيمة ســـاحقة ماحقة للكفـــار ، وانتصار المهاجرين والأنصار .
- انتصار المسلمين في القادسـيّة ، على الجيـوش الفارسيّة .
- عمر بن الخطاب ، يقع شهيداً في المحراب .
- عثمان بن عفان ، يقتل وهو يقرأ القرآن .
- علي بن أبي طالب يستشهد في المسـجد ، وهو يتعبد .
- خالد بن الوليد ، وكتــائب التوحيد ، تهــزم جيش الروم العنيد .

كان هذا هو الموجـز وإليكم تفصيل الأنبـاء :

0- **وضع إبــراهيم الخليل في المنجــنيق** ، ورمي به إلى الحريق ، فنادى الخليل ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، فقـال للنـار كـوني بـرداً وسـلاما ، فنجا إبـراهيم وصـار للنـاس إماما ،لأن مـاء الإيمـان ، يطفئ لهيب النـيران ،

ولما رأى إبـراهيم النـار المحمـاة ، نـادى لسـان الحـال يا الله ، فتولاه مولاه ، وكفاه وحمـاه ، وأنقـذه ونجـاه ، وهذا يدلك على أن حسبنا الله ونعم الوكيل ، أقوى من كل خطب جليل ، وكــرب ثقيل ، وخطر وبيل ، لأن من معه الله فمعه القوة التي لا ترام ، والعزة التي لا تضام ، والعروة التي ليس لها انفصـام ، فـأخلص له الطلب ، وقم بما يجب ، ترى العجب .

- **يوسف يلقى أبــاه يعقــوب** ، بمصر بعد أن كــاده إخوانه وألقـــــوه في غيابة الجب ، وبيع في مصر وحبس بضع سنين فشــرد عن الأهل وأبعد عن الوالد ، وأصبح في حكم المفقود الفاقد ، والمشرد الشـارد ، في بلاد غربة ، وحالة كربة ، وتعرضت له امـــــرأة ذات منصب وجمال ، فقال إني أخـاف الله ذا الجلال ، فنصـــره الله النصر العزيز ، وســـخر له العزيز ، وأصـبح على خـزائن مصر ، إمـام العصر ، وسـلطان القصر ، وجمع الله له أبويــه لديه ، وســلموا عليه ، وجمع الشـــمل ، وظهر الفضل ، وتمت الأفـــراح ، وزالت الأتراح ، جزاء الصـبر ، وطاعة الأمر ، وكـانت العاقبة للتقــوى ، لأن حــزب الله هو الأقــوى ، فعفا يوسف عما بدر من إخوانه ، فكان مضرب المثل في الحلم لأهل زمانـــــه ، ونسي ما مضى ، لأنه ذهب وانقضى ، فطــاب الاجتمــاع بعد الانقطــاع ، وحصل الوئام بعد الانفصام ، وتمت النعمة وزالت النقمة .

- **خـــرج موسى وفي قلبه إيـــاك نعبد وإيـــاك نســتعين** ، فلما صــار وراءه فرعــون اللعين ، نــادى موسى : كلا إن معي ربي سيهدين ، فأنجى الله موسى ومن معه من المؤمنين ، وعفّر أنف فرعـون في الطين ، لأن فرعــون قــال : ما علمت لكم من إله غــيري وهو كذاب ، فـأراه الله أن أنف الـدعي يمـرغ في الـتراب ، وكان المخذول يقول: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجــري من تحــتي وما أجــراه ، يفتخر بنهر ما أجــراه ، فأجرى الله الماء من على رأسه وأخزاه .

- **بعث في مكة رسـول الهداية** ، ومبعـوث العناية ، فكـان التوحيد عنـده البداية ، هتف به في النـائمين ، وأعلنه في العالمين ، فلا إله إلا الله أي نبأٍ عبر الأقطار ، وأي خـبر شق الأمصـار ، سـابقت الفجر كتائبه ، وأخجلت الغيث سـحائبة ، أعـاد الفطـرة إلى سـيرتها على التوحيد ، وأحيا النفـوس من رقـدتها الكـبرى إلى نهـار الـدين الجديد ، ففتح الله به الأسـماع والأبصـار ، وبشر بالجنة وحذر من النار .

- **وقعت غـزوة بـدر** ، الفاصـلة بين الإسـلام والكفر ، حيث الباطل سُحق ، والزور مُحق في بدر نـزل جبريل ، على الرسـول الجليل ، فانهـار جيش الكفر الـذليل . الملائكة مع الصحابة تقاتل ، وفي صف المؤمنين تنـازل ، لقد اشـتركت السـماء مع الأرض في القتـال ، فكـان النصر من نصـيب الحق ولا يـزال ، في بـدر صـنعت ملاحم الفداء ، ونسجت بـردة الوفـاء ، ﴿ ذَلِـكَ بِـأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾

- **قتل عمر بن الخطـاب** ، في المحـراب ، طعنه أبو لؤلـؤة النجس المجوسي فكـان قتل عمر من أعظم المصائب ، ومن أفظع النوائب ، لأنه كان حصناً للسنة ، وبابـاً دون الفتنة ، نشر العـدل ، ومحا الجهل . وبث العلم ، ودوّن الدواوين ، وكفل المساكين ، وجنّد الأجناد ، وحمى به الله البلاد ، وأسعد به العبـاد ، وبعـدما قتل ، وقع في الأمة خلل ، ومـاجت الفتن ، وهـاجت المحن . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولحكمه سامعون مطيعون

- **قتل عثمـان ،** وهو يتلو القـرآن ، فوقع دمه على المصـحف الكـريم ، وذهب هـذا الإمـام إلى جـوار ربٍ رحيم ، بعدما جمع القـرآن من الصـدور إلى السـطور ، وسـابق إلى كل عمل مـبرور . وكـان أحد الأسـخياء المعـدودين ، والأجـواد المحمـودين ، قانتـاً آنـاء الليل ، بدموع كالسيل ، محسناً إلى الأيتام ، فهو حسنة الأيام ، لا يمل من تلاوة الكتاب ، ولا يفتر من ذكر العذاب .

- **وقع علي بن أبي طالب شـهيدا ،** وسـار إلى الله شــهيدا ، بعــدما نصر الملة ، وأدخل على الكفر الذلة ، وقمع الخوارج المارقين ، والمبتدعة المفـارقين ، وكـان بطل المشاهد ، وصاحب المساجد ، مع زهد معــروف ، وعلم موصـوف ، وفصـاحة بارعة ، وعين دامعة ، وهمة عالية ، وأخلاق غالية ، وهو صاحب المواقف المحمــودة ، والمآثر المشهودة

- **هزم سيف الله المسلول ،** جيش الروم المخذول ، ورده على عقبيه مكســورا ، وطــرده عن بلاد الإســلام محســـورا ، بعد معركة دامية ، ووقعة حامية ، قتل فيها شهداء ، وحضرها علماء ، ثم أنزل الله نصــره على أبي ســـــليمان ، وجند الــــرحمن ، بعد مصــــاولة ومجاولة فالسيوف تتصبب دما ، والأرض تثور حمما ، والجمـاجم تتساقط على وقع الرماح ، والأبطـال تصـرع مع خـروج الأرواح ، فالحمد لله على نصــره ، ونفـاذ أمــره ، وعلو قدره .

- **استمعتم إلى نشرة الأخبار ،** أيها الأخيــار ، وإليكم حالة الطقس اليوم وغداً وأمس . القلب ملبد بالغيوم ، من كثرة الهموم ، وتراكم سحب الغموم ، رياح الذنوب تثــــــير الأتربة ، على من له في الخطايا تجربة ، موعد شروق شـمس التوحيد ، عند عـودة العبيد ، إلى الـولي الحميد ، يتوقع نـزول الأمطـار ، وذهـاب الأخطـار ، عند الإكثار من الاستغفار ، يخشى من نزول صواعق ، على كل كافر وخائن ومارق .

نستودعكم الله ولنا لقاء ، مع تحيات وكالة الأنباء .

مقـامَـــــة الـــحــبّ

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾

ومن عجب أني أحن إليهمو ... فأســـأل عنهم من لقيت وهم معي

الحب على المحــبين فــرض ، وبه قــامت الســموات والأرض ، من لم يــدخل جنة الحب ، لن ينـــال القـــرب ، بالحب عُبد الرب ، وتُرك الذنب ، وهـان الخطب ، واحتمل الكرب .

عقل بلا حب لا يفكر ، وعين بلا حب لا تبصر ، وســماء بلا حب لا تمطر ، وروض بلا حب لا يزهر ، وســــــفينة بلا حب لا تبحر .

بالحب تتآلف المجرة ، وبالحب تدوم المسرة ، بالحب ترتسم على الثغر البســمة ، وتنطلق من الفجر النســمة ، وتشدو الطيور بالنغمة ، أرض بلا حب صحراء ، وحديقة بلا حب جرداء ، ومقلة بلا حب عمياء ، وأذن بلا حب صماء .

شـــكا ألم الفـــراق النـــــــــاسُ قبلي ... وروع بــــالجوى حي وميْتُ

بــالحبِّ تُرضــعُ الأم وليــدَها ، وتــروم الناقة وحيــدَها . بالحب يقع الوفاق ، والضم والعناق ، وبالحب يعم الســلام ، والمودّة والوئام .

الحب هو بسِــاط القــربى بين الأحبــاب ، وهو ســياج المودة بين الأصحاب . بـالحب يفهم الطلاب كلام المعلم ، وبالحب يسير الجيش وراء القائد ويتقدم ، وبـالحب تـذعن الرعيّة ، ويعمل بالأحكــام الشــرعية ، تصــان الحرمــات ، وتقدس القربات .

بيت لا يقوم على الحب مهدوم ، جيش لا يحمل الحب مهـــزوم . لكن أعظم الحب وأجلّه ، ما جـــاءت به الملّة ، أجمل كلمة في الحب قــول الــرب : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـــهُ ﴾ . فلا تطلب حباً دونه .

ليس حبـــاً قطعة معزوفة … **من يــراع الشــاعر المنتحب**
ليس حبـــاً غـــزلٌ يمطرنا … **في سطور الكـاتب الحر الأبي**
أو خطـــابٌ بــــارعٌ نمقه … **والهٌ يـروي صـنوف العتب**
ما قفا نبكي هو الحب ولا … **ظبية البان وذكـرى زينب**
ما درى مجنـــون ليلى ســـره … **عبثٌ ذاك هيـــام الصـــخب**
انما الحب دم … **في سبيل الله خير**

أحب امرؤ القيس فتاة ، وأحب أبو جهل العزى ومنــاة ، وأحب قـــارون الـــذهب ، وأحب الرئاسة أبو لهب ، فأفلسوا جميعا ، لأنهم أخطؤوا خطأً شنيعا .

أما حب بلال بن ربــاح ، فهو الــبر والصــلاح . سـحب على الرمضـاء ، فنـادى رب الأرض والســماء ، انبعث من قلب المحب أَحدٌ أَحد ، لأن في القلب إيماناً كجبل أُحد .

إذا كـــان حب الهائمين من الورى … **بليلى وســـلمى يسـلب اللب والعقلا**
فمــاذا عسى أن … **ســرى قلبُه شـوقاً**

مهر الجنة عند بلال السنة ، ركعتـان ودمعتـان . الحب لا يعترف بالألوان ولا بالأوطـان ، والـدليل بلال وسـلمان ، بلال أبيض القلب أسود البشرة ، فصار بالحب مع البررة ، وأبو لهب بــالبغض ليس من أهل الــبيت ، وســلمان نــال بالحب جائزة سلمان منا أهل البيت .

دعــني من حب مجنــون ليلى ، ومحبــوب ســلمى ، ومعشـوق عفـرا ، فلطالما لطخت بأشـعارهم الطـروس ، وضاقت بأخبارهم النفوس ، وخدعت بقصائدهم الأجيــال ، واتبعهم الضلال .

حــدثني عن أنبــاء الأنبيــاء ، وهم من أجل حب الــرب يهجرون الآباء والأبناء .

فــإبراهيم يتــبرأ من أبيه ، ونــوح من بنيه ، وامــرأة فرعون تلغي بنفسـها عقد النكـاح ، لأن البقـاء مع الكـافر سفاح .

هذا هو عالم الحب بتضـحياته ، بأفراحه وأتراحه ، وهو حب يصلك برضوان مَنْ رضاه مطلب ، وعفوه مكسب .

والله ما نظـــــرت عيـــني لغـــيركمو	**يا واهب الحب والأشـــواق والمهج**
كل الذين رموا في	**في آخر الصف أو**

امــرؤ القيس يصــيح في نجد ، وقد غلبه الوجد ، قفا نبــكِ فــإذا بكــاؤه على الأطلال ، وإذا دموعه تســفح على الرمال ، إنه هيام العقل بلا وازع ، وحيرة الإنسان بلا رادع .

ورسولنا ﷺ يذوق الويلات ، ويعيش النكبـات ، ثم ينـادي مولاه في ومناجاة إخبات، ويقول : لك العتبى حتى ترضى .

لا تضع عمــري بشــعر طرفة بن العبد ، وهو يشــكو الحب والصد ، حب مـــاذا ، يا هـــذا ، أما علمت أن أحد الأنصار ، كان يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ بتكرار ، فسئل عن المقصـود ، قـال : لأن فيها مـدح المعبـود ، وأنا أحب تلك البنود ، فدخل الجنة بالمحبة ، لأن الله أحبه .

دعــني أمسح فــوق الـــروض أجفـــاني	**فــالنور موقــده من بعض أشــــــجاني**
نســــيت في حبكم	**فحبكم عن جميع**

شغلونا بالروايات الشرقيّة ، والمسرحيّة الغربيّة ، ويل هذا الجيل ويله ، سهر مع غراميــات ألف ليلة وليله ، وفي الــــذكر المنـــــزل ، والحــــديث المبجل ، قصص الحب الصـادقة ، والمعـاني الناطقة ، ما يخلب اللب ، ويسـتميل القلب .

الحب ليس رواية شـــــــــرقية	**بأريجها يــــــــتزوّج الأبطـــــــــالُ**
الحب مبــدأ دعــوة	**فيها من النـــــور**

أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعـراب ، والهيـام في الأهداب ، فكل ما فـوق الـتراب تـراب ، وأدخلونا في

عـالم الحب الـراقي ، والـدواء الـواقي ، الـذي تطـير له الأرواح، وتهـتز له الأشـباح ، في ملكـوت الخلـود ، وعلى بساط رب الوجود .

دع حب هؤلاء فإنهم مرضى ، وتعال إلى الواحد وناد : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُـونَ أَنَّهُ الْحَـقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَـرُوا فَيَقُولُـونَ مَـاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾ .

في حالة البعد   **تقبل الأرض عنكم**
نفسي كنت أرسلها   **وهي رائـــــــدتي**
وهذه دولة الأشـباح   **فامــــدد يمينك كي**

حمــزة ســيد الشــهداء يمــزق الحب تمزيقا ، وأنتم تهيمون بروايـات غراميّة لفقت تلفيقا ، نقـول حـدثونا عن الحب عند ابن عبـاس ، فتـذكرون لنا عشق أبي نـواس ، كفى جفاء ، فأمّا الزبد فيذهب جُفاء .

حب طلحة والزبــير ، أعظم من حب شكســبير ، لأن حبهم ســطر في بـــدر لمرضـــاة القـــوي العزيز ، وحب شكسبير كتب في شوارع لندن لمراهقي الإنجليز .

إن كنت يا شـاعر الغـرب كتبت رواية الحب بـالحبر ، فالصحابة سجلوا قصص المحبة بدم الصبر .

لا تدري ربما عذبت بحبك ، وكتب عنك عند ربك ، هذا فراق ما بيني وبينك ، ونحن نسمع من أجل امـرأة بكـاءك وأنينك .

ولما جعلتُ الحبَّ   **تـــركت الهــــوى**
خــــدناً وصــــاحبا   **والعشق ينتحبــــانِ**
فلا تســــــــمعني   **ورنة عــود أو غنــاء**
شكســبير ولهــوه   **غِـــــــــــواني**

كلما خرج علينا شاعر مخمور ، فاقد الشـعور ، حفظنا شعره في الصدور ، وكتبناه في السطور ، وقلنا : يا عـالم هــذه قصصــنا الغرامية ، ونســينا رســائلنا الإســلامية ، وفتوحاتنا السماوية ، التي ذهلت الإنسانية .

علمني الحب من سورة الـرحمن ، ولا تكـدر خـاطري بهيام يا ظبية البـان . أنا ما أحب لغة العيـون ، ولكن أحب

لغة القلــوب ، ولا اتبــاع فلتــات أبي نــواس والمجنــون . ولكني أرتع في ريـاض الكتـاب المكنـون وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُـوا لِي فَاعْتَزِلُونِ .

ومعنفي في الحب فالـــــدمع دمعي

الحب الصادق في جامعة إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، والغــرام الــرخيص في مســرح الفنــانين والفنّانــات . استعرض نصوص الحب في وثيقة الوحي المقدس ، لترى فيها حياة الأنفس ، الحب الأرضي يقتل الإنسان بلا قيمة ، والحب الســماوي يــدعو العبد إلى حيـاة مسـتقيمة ، ليجد فضل الله ونعيمه .

أرقٌ على أرقٍ وجـوىً يزيد وعـبرة
ومثلي يـــــأرق تترقـــــــرقٍ
جهد الصـــبابة أن عيناً مسهّدة وقلباً

حب العز عند فرعـــون ، وحب الكنـز عند قـــارون ، وحب البنـز عند شـــارون ، أما حب الجنة ، فعند أبطــال السُنّة ، الذين حصلوا على أعظم مِنّه .

الجعد بن درهم ذُبح على الابتــداع ، وأنت تبخل بدمعة في محراب الاتباع .

ســقيناهمو كأســاً ولكننا كنا على
ســـــقونا بمثلها المـــوت أصـــبرا
بلغنا السما جــوداً وإنا لــنرجو فــوق

أتريد من الجيل أن يحب الملك العلام ، ويصــلي خلف الإمـــام ، ويحافظ على تكبـــيرة الإحـــرام ، وأنت تُحفّظه رباعيات الخيام ، ليبلّغهم رسالة لا بعث ولا نشـور ، أعــوذ بالله من تلك القشور .

يا حـــاج ، أين حملة المنهـــاج ، ما تـــرى كيف عشق الإمــــارة الحجــــاج ، وقتل في البدعة الحلاج ، وأنت من أحرص الناس على حياة ، فبماذا تدخل الجنة يا أخاه .

من تداجي يا إبراهيم نـاجي ، ومن تكلم ومن تنـاجي : تقول يا فؤادي رحم الله الهوى ، بل قتل الله الهوى .

من يشـارك في ثـورة الخـبز ، لا يحضر معركة العز ، لما نسيت الأمة حب القلـوب ، واشـتغلت بحب البطـون ،

رضيت بالدون ، وعاشت في هون . ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُــوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

هل عند الأَمة فـــراغ في الأزمـــان ، تســـمع صـــوت الحرمان ، وهو ينادي :

إن العيون التي في طرفها حـــــــــور   **قتلننا ثم لم يحـيين قتلانا**

مقامَة

نحن بحاجة إلى صـــوت خـــبيب بن عـــدي وهو يلقي قصيدة الفداء، على خشبة الفناء، في إصرار وإباء ، وصبر ومضاء :

ولست أبـــالي حين أُقتل مســـــــــلماً   **على أيّ جنبٍ كــــان في الله مصــــــرعي**

وذلك في ذات الإلهِ   **يبـــارك على أشـــلاء**

بـــارك الله فيك وفي أشـــلائك يا خـــبيب ، فـــأنت إلى قلوبنا حبيب . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُـوا أَشَـدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ ، اللهم اجعلنا ممن يحبك ويحب من يحبك ، ليؤنســـنا قربك ، اللهم ازرع شجرة حبك في قلوبنا ، لنرى النور في دروبنا ، وننجو من ذنوبنا ، ونطهر من عيوبنا .

إليــــــكَ وإلا لا تشد الركـــــــــــائب   **ومنك وإلا فالمؤمل خـــــــــــــــائبُ**

وفيك وإلا فــالغرام   **وعنك وإلا**

وإن تعجب فعجب أن ترى شاعراً بائسا ، يشـكو طللاً دارسا ، فهو يبكي من نار الغرام ، ويشكو ألم الهيام ، ولو ســافرت روحه في عــالم الملكــوت ، لصــار وحبه عنــده كــالقوت . لو أدرك عنـــترة الإســـلام ما كبا ، وما قـــال : اذكري يا عبل أيام الصبا .

جرير يشكو العيون السـود ، وبشـار يشـكو الصـدود ، والشريف الرضي يشكو فتنة الخدود ، وكأن الحياة لـديهم اختصرت في امرأة حسناء ، وكأن العمر يتسع لهذا الهراء ، ويحسبون أن النـاس من أجلهم تركـوا المنـام ، وهجـروا الطعام ، إذا افتخرنا على الغرب بأن لدينا نساء حسناوات ، وفتيــات فاتنــات ، قــالوا لنا : عنــدنا في ذلك مســارح ومســرحيات ، ومغــامرات وغراميّــات . لكن فخرنا على

الناس أن لدينا رسالة ملأت الكون نورا ، والعـالم حبـورا ، والدنيا طهورا .

نحن الـــــذين ملأنا جونا كرمــــــــــاً والعـــــــالم الآخر

وقد بعثنا قرآننا من يعبد الجنس أو

على أمما

المقـامَــــة الـنحــويّـــــة

﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾

جَمِّل المنطقَ بـــــــالنحو فمن
يحـــرم الإعـــراب في النطق اختبل
فاللسـان العضب كم يسـحر من

اللحن في الأقوال ، أهون من اللحن في الأفعال ، لأن اللحن في الفعل يـــدل على الجهل وقلة العقل ، واللحن في الكلام يدل على أن صاحبه ليس له بالعربيّة إلمام .

ونحن في زمن خفض المرفـــوع ، ورفع الموضـــوع ، وأصـــبح المجـــرور منصـــوبا ، والعلم بـــالجر مســـحوبا ، وأصبحت النكرة معرفة ، والموصـوف بلا صـفة ، والمبتـدأ بلا خبر ، والأفعال تجر ، فـانظر لحـال أهل التميـيز ، كيف تركوا كل وصف عزيز .

واعلم أن بعض اللحن لا يصـــلحه ســـيبويه ، ولا يقيمه نفطويه ، ومن لحن عند أولي الشـــــان ، ذهب رأسه في خبر كانْ ، وكـان جعفر الـبرمكي عند الرشـيد كالمـأمور ، فلما رفع المجرور ، ترك رأسه في البلاط يدور ، وهذا أبو جعفر المنصور ، لما رأى أبا مسلم يضم المكســور ، جعل سيفه في صدره كالضمير المستور .

والعــــرب لا تبــــدأ بســــاكن ، لأنها تحب التنقل في المساكن ، أما تراها فتحت بالسـيوف الجـوازم الأقطـار ، وحررت من سوء الحال الأمصار ، ولا تقف على متحرك ، لأنها تحب الساكن المتنسك ، وتبغض المتغير المتهتك .

النحو لا يعـترف بالأنسـاب ، ولا يقيم وزنا للأحسـاب ، لأن الوليد بن عبد الملك كـــان يلحن وهو من بـــني أمية ، وســـيبويه عـــــالم في النحو وهو من الـــديار العجمية ، والبخاري كان في صحة الكلام لا يجارى ، وهو من بخـارى .

هنا لحن في الـذات ، ولحن في الصـفات ، ولحن في الكلمـات ، **فلحن الذات** التنكر للمعبـود ، وغبش الرؤية

للوجود ، **ولحن الصفات** هجر الآداب ، والتنابز بالألقـاب ، **ولحن الكلمـــات** ، الجهل بالحركـــات والســـكنات ، والفتحات والضمّات .

يقـول النحـاة : ضـرب عمـروٌ زيـدا ، وما ذكـروا لهما وصفاً ولا قيدا ، فإن كان المقصود عمرو بن العاص ، فهو من الخواص ، وإن كان المقصود عمرو بن معـدي كـرب ، فهو المقدام ساعة الغضب ، وإن كان المقصود عمـرو بن كلثوم ، فسيفه في الأعداء مثلوم،

أما زيد فإن كان ابن ثابت ، ففي الأنصـار نـابت ، وإن كان ابن الخطاب ، فقد قتل في سبيل الوهاب ، وإن كـان ابن حارثة ، فهو أسد كل حادثة .

قـالوا : كـان معـروف الكـرخي العابد يلحن إذا نطق ، ولكنه يعرب في الأفعال فكلما تكلم قالوا : صدق .

بلال يتكلم الحبشيّة ، وأبو لهب يتكلم القرشيّة ، ففهم بلال كلام ذي العــــــزة والجلال ، ولم يفهم أبو لهب ، ما جـــاءت به الكتب ، لأن قلب بلال أحب العــــربي الأمين وقلب أبي لهب في الكفر مهين . دخل جـــوهر الصـــقلي باني القاهرة ، بجيوش باهرة ، فتكلم بلغة مغلوطة ، كـأن لســانه مربوطة ، قــال له العــرب : أنت رجل لحّــان ، لا تجيب في الامتحـــان ، أنت مـــولى بلا نسب ، ودخيل بلا حسب .

فقـال : كيف ؟ وسل السـيف ، وقـال : هـذا نسـبي ، ونثر الذهب ، وقال : يا عرب، هـذا حسـبي ، فصـار أفصح من سحبان ، فالسيف والذهب خطيبان .

الانتمـــاء ليس للســـان ولا البلـــدان ، وإنما للإيمـــان والقرآن ، والـدليل ،البخـاري محمد بن إسـماعيل ، والـرد على مـذهب القومية الكريه ، بكتـاب سـيبويه . أعجميـان لهم كتابـان ، عظيمـان عربيـان ، البخـاري أجل كتـاب في الصحيح ، والكتاب لسـيبويه الـذي بز كل فصـيح . سـيبويه عصـــرنا ، وكســـائي مصـــرنا ، من يرفع الفاعل ، وينصب المفعــول ، فهــذا نحــوي مقبــول ، يكفى النــاس اليــوم الآجروميّة ، وإلا تحولت الأمة إلى فارسية ورومية .

يقول ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد اسم وفعل ثم

وهذا يقصد به الأقوال ، وأنا أقول في الأفعال .

أفعالنا على كما أمـرت وابتعد

قا ترفع كان المبتدا تنصـــبه ككـــان

أقو يرفع ربي من مثل أبي بكر

يقو والأصل في وجـوّزوا التقـديم

وأقو والأصل في وقدم الأخيار من

القـرآن كـاف شـاف ، بلا كشـاف ، لأن الزمخشـري ، في سوق البدعة مشتري ، لحن في العقيدة ، وأعرب في القصيدة ، لو شرب من معين السـلف المـاء الـزلال ، لما ورد نهر الاعتزال . بعض الظلمة من الرؤساء كان فصـيحا ، وظلم ظلماً قبيحا ، قال : أنا إمام عادل ، وورع فاضل ، فقال شعبه : أنت عادل إمام ، ولكنك قدمت وأخّــرت في الكلام

لما لحن الجيل في الجمع والمثـــنى ، ونسي ســـيرة المثنى ، تعنّى وما بلغ ما تمنى .

ضـــرب المعتصم أحمد ، وتوعّد وهـــدّد ، فما أجـــاب بحرف ، لأن أحمد ممنـوع من الصـرف ، أما أحمد بن أبي دُؤاد فصرف في سوق الذهب ، لأن الــورع من قلبه ذهب .

يا أيها المســـلمون : اصـــرفوا إســـرائيل ولو كـــانت ممنوعة من الصـــرف ، لأن للضـــرورة أحكاما في اللغة والعـرف . لا تخـدعك الأسـماء وتنسى الأفعـال ، فنصـير الدين الطوسي ، صـار عـدو الـدين المجوسي ، لأنه كسر رؤوس المسلمين بالسـيوف الجازمة ، وأفـتى هولاكو تلك الفتاوى الآثمة .

اشـتغلنا بالفعل الماضي عن الفعل المضـارع والأمر ، فكلامنا :

انتصــــرنا فيما مضى ، وهـــذا ذهب وانقضى ، وفتح أجدادنا البلاد ، وأين فتحنا اليـوم يا أحفـاد ، أسـلافنا مبتـدأ لكن أين الخبر ، ليتم الكلام المعتبر :

والخـــبر الجـــزء كـــــــــــ الله بر

يقول النحاة : المصغّر ، لا يصـغر . قلت : بـل يصـغره الله يا أعراب ، أما رأيتم ما فعل بمسيلمة الكذاب ، كيـف

صـغّره وحقّـره ، وبـالتراب عفّـره . أمـا مسـلمة بن عبـد الملك فلم يكن مصغّرا ، فعاش مجاهداً مظفّرا .

إذا رأيت الصفات تتقدم الأسماء ، فـاعلم أن المعـاني هبـــاء ، فالمتـــأخرون يصـــفون البعض ، عند العـــرض ، فيقولون : علامة عصره ، وفريدة دهـرة ، وقـدوة الأنـام ، وعلم الأعلام . بينما كان السلف يقولون : أبو بكر وعمر ، ولا يـذكرون النعـوت والسـير ، لأن المعـارف لا تعـرّف ، وكامل الأوصاف لا يوصف .

احـــذر ثلاث كلمـــات ، إذا وقعت بلا إضـــافات صحيحات .

كلمة أنا فهي مدح الشياطين ، لما قال كبـيرهم : أنا خير منه خلقتني من نـار وخلقته من طين ، ولكن قل : أنا العبد الضعيف ، أطلب عفو اللطيف .

وكلمة لي قـال فرعـون في القصر : أليس لي ملك مصر ، فصـــــار في الهلاك آية لكل عصر ، ولكن قل : لي ذنوب ، أرجو رحمة علام الغيوب .

وكلمة عندي قالها قــارون ، فجعلها بالخسف عــبرة لكل القرون ، ولكن قل : عندي تقصـير ، يصـلحه اللطيف الخبير .

علي بن أبي طالب مرفوع عندنا بين الفتح والخفض ، فقد أخطأ فيه أهل النصب والـرفض ، فالنواصب هضـموا حقه ، ونسوا صدقة ، والـروافض أنزلـوه فـوق المنــزلة ، فصار وصفهم مهزلة .

فيا أيها الناصـــبي : عليٌّ مرفـــوع وعلامة رفعه ، علو الهمة ، وتزكية رسول الأمة .

ويا أيها الرافضي : لا تغالِ ، فعليٌّ بغير هذا الغلو عـالِ .

ذكر عن سيبويه ، ذلك العالم الوجيه ، أنه أتى ليُعـرِّف اسم الجلالة ، فلما وقف أمـــام كلمة الله وتـــذكر كماله ،

وتأمل جماله . قال: **الله** أعرف المعـارف ، لا يحتـاج إلى تعريف ، ومن جمع الصفات لا ينقصه التوصيف .

يا أنت يا أحسن الأسـماء في خلـدي ... مـاذا أعـرف من عز ومن شـرفِ

تقاصرت كلها الأعلام إن ذكـرت ... أوصـافكم قد رواها عنك كل وفي

خـذها من الـوحي نعتاً للجليل ولا ... تأخذ من الجهم والكشاف والنسفي

فـارفع شـعائره وانصب لخدمته ... وجر رجلك في ذل وفي أسـفِ

قال شاب لأحد الأولياء : يا ليتني أدركت الرسـول ﷺ وكنت خادماً بين يديه ؟

قـال : لعلك تـرحم بهـذا لأن المضـاف يأخذ حكم المضاف إليه .

-0زاد اليهـود نقطه ، فوقعـوا في ورطه ، وسـقطوا سقطة ، قيل لهم قولوا : حطه ، فقالوا : حنطه .

-وزاد المبتدعة حرفا ، فصرفوا عن الصواب صـرفا ، قـالوا : اسـتولى مكـان اسـتوى ، وهـذا من الزيغ والهوى .

-للوصف صلة بالاسم ، فأبو بكر الصديق ، لما صدق في القول والاعتقاد ، عرف بهذا الوصف بين العباد ، وعمر عمر الدولة بالعـدل ، وطـرد الجهل ، وعثمـان بن عفان ، عف عن كل فان ، وعلي بن أبي طالب ، علا في المناقب ، فسلم من المثالب .

-كن بالتوحيد مرفـوع الهامة ، وبـالأخلاق منصـوب القامة ، وليكن عليك من الصـلاح علامة ، لتنجو يـوم القيامة .

-0واعلم أن المزاح المباح ما عارض به بعضهم الألفية النحوية ، وجعلها للمطاعم الشهية .

قـال ابن والأصل في

وجوّزوا التقديم إذ لا

قـــــــال والأصل في

وجّوّزوا الفطير إذ لا

وقـال الشـيخ ابن عـثيمين كـان له شـيخ يقـول على سبيل المزاح

والأصل في

وجّـوّزوا الـترقيق إذ

مقـامَـــة الجـمـــال

 الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

ليس الجمال بمـئزرٍ فـــاعلم وإن رُدّيت
إن الجمـــال مـــآثرٌ بُـــــــــــرْدا
ومن ــــاقبٌ أورثن

الله جميل يحب الجمــال ، موصــوف بــالجلال ، انظر نهجه ، وقد أنبت حـــدائق ذات بهجة ، خلق الإنســـان في أحسن تقويم ، وأبدع الكائنات في تصوير مستقيم ، جمال في كواكب السماء ، وحسن يكسو الأشياء ، نجوم زاهــرة ، وبحــار زاخــرة ، كــأن الأرض مكســوة بأحسن نســيج ، والحـــــدائق فيها من كل زوج بهيج ، رسم الجمـــــال في الكائنات ، وخط الحسن في المخلوقات .

الجمـــال في العين بلونها الأســـود ، وبجفنها المقعد ، بســـحر نظرتها ، وروعة خطرتها ، مـــدورة في بهـــاء ، متحركة في سناء ، لها في الظلام بريق ، ولها في الحركة تلفت رشيق ، عليها رمش يحميها ، ويغســلها ولا يــدميها ، وهي في نهر من الماء تسبح ، وفي هالة من النور تمرح ، في نظرها أســـرار ، وفي تلفتها أخبـــار ، لها لغة تفهمها القلوب ، ولها سـحر تكـاد منه النفس تـذوب . في طرفها حــور ، يقتل من نظر ، لها في النفــوس إيمــاءات ، وفي الأرواح إضـــــاءات ، يعــــرف بها الرضا والغضب ، والجد واللّعب :

في عيـــون المحب ســـطرت بالـــدموع
أحـــــــــرف وُدٍّ عند الفـــــــــراقِ
قُتلت أنفسٌ بنظـرة وقلـــوب مشـــتاقة

الجمــال في الفم وهو بالحسن محبــوك ، وبالأســنان مســبوك ، يرسل الكلمــات ، ويبعث النغمــات ، بلســان فصيح ، وصـوت مليح ، لا ينطق حـتى يـؤمر ، ولا يسـكت حـــتى يزجر ، فيا له من خلق ما أبدعه ، ومن صـــنع ما أروعه أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَـانًا وَشَـفَتَيْنِ * وَهَـدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ الجمال في الوجه ، بطلعته البهية ، وإشــراقاته

الرضية ، قسمات ترسم ، وقبلات عليه من البهــاء تبسم ، خد بماء البشاشة يسـيل ، وطـرف بإيحـاء الحسن كحيل ، دمع كالسيل ، وشعر كالليل . وجبين كالمهنّد ، وفم منضّد .

الجمال في قامة الإنسان ، وروعة هذا البنيان ، أذنــان وصِماخان ، وعينان نضـاختان، ويـدان منافحتـان ، ورجلان كادحتان .

الجمال في الروض الجـذاب ، بجماله الخلاب ، طيــور تلقي قصائد الحنان ، على منـابر الأغصـان ، وحمـام ينشد إليــاذة الفــراق ، على أطــراف الأوراق ، ومــاء يســكب ، ونسـيم يكتب ، أنهـار ودوح ، ومسك من الـروض يفــوح ، حسن باهي ، وإبداع إلهي ﴿ سَبِّحْ اسْــمَ رَبِّكَ الأَعْلَى* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾ .

انظر إلى الـــــروض	**رب الوجـــود عظيم**
واشـــــهد أن مبدعه	**القـــدر والشـــان**
وسـرح الطـرف فيما	**ما بين زهر وأطيــار**

الجمـال في الصـبح إذا تنفس ، فسـبحان من صـوره وتقدس ، الصبح بطلعته الآسرة، وإطلالته الباهرة ، الصبح وهو يغشى العــالم ، ويمر على كل قاعد وقــائم ، الصــبح وهو ينشر عباءته الذهبية على الوجــود ، فيكـاد يكلمه من حسنه الجلمود ، الصبح يوم يتوضأ الفكر في عباب نـوره ، ويغتسل القلب في بحر ســـروره ، وتســـرح النفس في مهرجان عرسه، وتنصت الروح لهمسه وجرسه .

الجمـــال في الليل إذا عســـعس ، وأقبل في هـــدوء يتــوجس ، يقبل الليل بردائه الأســود ، وشــعره المجعد ، فيســتر الأحيــاء بثيابه ، ويضع الأشــياء تحت جلبابه ، فيملأ بجيشه المســاكن ، فكل متحــرك ســاكن ، والليل له هيبة في العيون ، كأنه كتيبه تحمل المنون .

من لم يـــرى هـــذا	**خسر الجمـــال ولم**
الوجـــــــود بقلبه	**تـــــرى عينـــــاه**
فافتح كتـاب الكـون	**هل في الوجـــــود**

الجمال في الشمس وهي على الكـون تتـبرج ، ليتمتع في الحسن كل حيٍّ ويتفرج ، أشعة تعانق العين في صفاء ، وتداعب الروح في وفاء ، نور يطارد الظلام ، ويبعث في الكون الإشراق والوئام ، الشـمس جـرم هائل من النـور ، فيها معاني الفـرح والسـرور ، تجـري لمسـتقر لها ، فويل لمن غفل عن آياته ولها .

تقــول الشــمس يا بلقيس إني   **كمثلك أعبد الأحد المجيــــــــدا**
حــرام تســجدين لنا   **نـري رب الـورى "منا"** مقامَة

الجمال في القمر يوم يبدأ علينا بهـذا الوجه الصـبيح ، والمنظر المليح ، هالة من الصــفاء، وفيض من الســناء ، يــنزل أبراجه في وقــار ، ويطــارد الظلام بــالأنوار ، كثــيرُ إحسان ، حبيبٌ إلى كل إنســان ، إذا خسف بكى النـاس ، كأن حل بهم الباس ، يتدرج في النمو حتى يكتمل ، ويهرم شـيئاً فشـيئاً حـتى يضـمحل ، فسـبحان من صـوّر ودبّر ، وزين القمر وكوّر.

يا بـــدر كم لك منة   **يا أيها الشـــــيخ الجليل**
لا تبتعد عن دارنا   **يا صـــاحب الوجه الجميل**
رافقت من غـــبروا ومن

والجمال في النجـوم اللاّمعة ، والكـواكب السـاطعة ، انظر إلى السماء ، في الظلماء ، وقد رصع تاجها بـالنجوم ، التي تـذهب رؤيتها الهمـوم والغمـوم ، مهرجـان حي من الحسن البـاهر ، حفل يهيج من الجلال الظـاهر ، الجـوزاء تضحك في الظلماء ، كأنها حسـناء في قصر أحد العظمـاء ، الثريا في صويحباتها ، ومع رفيقاتها ، في مشهد عجيب ، وفي صمت رهيب ، سُهيل وقد هجر الجميع واعتزل ، وهو واقف ما مشى وما نزل ، آلاف النجوم تجمل هذا الفضـاء الكبـير ، بتقـدير اللطيف الخبـير ، نجم تـراه عن الجميع شـاردا ، ونجم يحـرق مـاردا ، ونجم يُعـرف به السـفر ، ويســتدل به البــدو والحضر ، ونجم إنما هو زينه ، لهــذه السماء الحسينة .

ألم تر هــذا الكــون في

وفي كل شـــــــيء في

كـأن الثريا علقت بجبينه

وفي جيــــده الشـــعرى

الجمال في الجبال ، بالوقـار قائمه ، وفي جلال القـدر هائمة ، ثابتة على مر الأزمان ، باقية ما تعـاقب الحـدثان ، تمر بها الرياح الهوجاء ، وهي صامدة صمّاء .

عاش معها ثمود وعاد ، وساسـان وشـداد ، وهي باقية والجمع قد بــاد ، صــاحبت القــرون ، وشــاهدت فرعــون وقـــارون ، فبقيت وهم مـــاتوا ، وحضـــرت وهم فـــاتوا ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْـفًا * فَيَـذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَـرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ . وكل ما مر يدخل في جمال الذات ، وحسن الصفات .

أما جمال المعنى ، فكن معنا ، ولا تذهب وتدعنا .

فمن ذلك جمــال البيــان ، مثلما أشــرقت به شــمس القرآن ، أما رأيت حسن هذا الكتاب المقدس ، الذي على الصدق تأسس .

تأثير يسـافر إلى أعمـاق الأرواح ، وأسر يشد ما اهـتز من الصــور والأشــباح ، نبأ يقف العاقل متفكــرا ، وخــبر يجعل الإنســان متــذكرا ، حقيقة تغــوص في الضــمائر ، وطهر يرسخ في السرائر ، موكب من النـور يجتث أكـوام الرذيلة ، فيض من الحق يحمل معــاني الفضــيلة ، قافلة من الصـلاح تطـوي صـحراء النفـوس طيا ، نهر من الـبر يــروي القلــوب العطشى رِيّا ، إيمــاء وإيجــاز ، وإفحــام وإعجاز ، عذوبة وحلاوة ، وسلاسة وطلاوة ، قوة وأصالة ، فصـــــــــاحة وجزالة ، لغة جميلة ، مقاصد جليلة ، براعة اســتهلال ، وحسن تفصــيل وإجمــال ، يســافر بقلبك إلى عـــالم الخلـــود ، ويرتحل بروحك إلى حقيقة الوجـــود ، ويغسل ضــــميرك من لوثة الخيانة ، ويطهر كيانك بمــــاء الأمانة ، مشاهد وصور ، وأحـداث وعـبر ، وأخبـار وسـير ،

وقصص وأمثـال ، وأفعـال وأقـوال ، عـالم الحيـاة بأريجه وضـجيجه ، وعـالم المـوت بأناته ونشـيجه ، دول تمر مر السحاب ، وملوك تدس في التراب ، تقـرأ هـذه المعجـزة الخالـدة ، فـإذا الأمم البائـدة ، حضـارات تسـقط كـأوراق التوت ، وممالك تتهاوى كبيت العنكبوت ، والقــرآن يناديك من أطـراف لبك ، ومن سـويداء قلبك ، تـدبر يا عبد ، جد فإن الأمر جد ، ودع الرد والصد ، استفق يا إنسـان ، اهجر عالم الغفلة والنسيان .

انبعث من قبور الأشقياء ، وتعال إلى جنـات الأتقيـاء ، انفض غبـــار الوثنية ، ارفض وســـاوس الجاهلية ، أعتق رقبتك من النار ، حصن نفسك من البوار، ارفع رأسك في ســـماء الكرامة ، أنت من أمة الخلافة والإمامة ، تقـــدم لإصلاح العالم ، فالكل سواك هائم عائم .

ســـمعتك يا قـــرآن ســـريت تهز الكـــون
والليل واجم ســبحان الـذي أسـرى
فتِحنا بك الــــدنيا فسل دولة الأخبـــار

أيها الإنســان ، شــاهد الكــون ، بعين الإيمــان ، تنظر للشوك ولا ترى الزهور ، تشاهد الآسن ولا تبصر الطهور ، يهولك الليل بالظلام ، ولا تستمتع ببدر التمام ، تشــكو من حرارة الشمس اللاذعة ، ولا تتلذذ بتلك الأشعة الساطعة .

تستوحش من وحدة الصـحراء ، ولا يؤنسك فيها روعة الإيحاء ، ما لك تزعجك الرياح الهوجـاء ، فـأين حسـنها إذا زارتك وهي رخـــــاء ، تنظر إلى الصــــخر كيف تحجّر ، ولا تنظر إلى الماء منه كيف تفجر ، تبصر رداءة الــتراب ، ولا تدرك أنه مادة الإنجاب والإخصاب ، لا ترى من السـيل إلا الدمار ، وهو مصدر النماء والعمـار ، تأخذ من المصـيبة العويل ، وتنسى الأجر الجزيل .

تضع على عينيك نظراة سـوداء ، لـترى الحيـاة جـرداء مرداء ، فأين الندى والطل ، وأين الخضرة والظل ، تسمع نعيق الغـراب ، ولا تنصت لهـديل الحمـام الجـذاب ، انظر إلى الحيــاة في ثيــاب جمالها ، وفي رداء جلالها ، شـــاهد الكون وهو في عباءة البهاء ، وحلة السـناء ، طـالع العـالم

بعين الحب ، لتشاهد بديع صنع الـرب ، واعلم أن الجحـود إلحـاد ، والتنكر فسـاد ، ومن لم يشـاهد إلا القـبيح ، فرأيه غير صحيح ﴿ قُلْ انْظُـرُوا مَـاذَا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

المقـامَــــة الـفقـهـيَّـــة

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾

يـأبى السـؤال فلا يراجع هيبة — والسائلون نواكس الأذقـــانِ
أدب الوقـــار وعز — فهو المطــاع

من يــرد الله به خــيراً يفقهه في الــدين ، والفقهــاء أفضل من العابدين . بل فقيه واحد ، أشد على الشــيطان من ألف عابد ، والتفاضل ليس بشجاعة الشجعان ، فليس الأسد أفضل من الإنســـان ، والإنســـان لا يـــراد منه المصارعة ، بل المحاجّة بالدليل والمقارعة ، وليس المدح بقوة البنيان ، وهل عظمت بقوة أجسامها الثـيران ، ولكن العبد يـراد منه الفهم ، ويفضل بـالعلم ، فـإذا فقه الحجة ، وعـــرف المحجة ، نـــال الســـعادة الأبدية ، والفضـــيلة الســرمدية ، وقد عيّر الله أعـداءه بعـدم الفقه في آياته ، ووصـــفهم بســـوء الفهم لبيّناته . وقد وصف المنـــافقون بضــخامة الأجســام ، والتشــدق في الكلام ، لكنهم ذمــوا بالفهم السقيم ، ووصموا بالرأي العقيم ، فقد حرمهم الله نور البصـيرة ، لخبث السـريرة ، ولسـوء السـيرة ، فليس التمايز بكثرة المال ، ولا بصفة الجمال ، ولا بكمال القــوه ، ولا بتمام القوه ، إنما التمايز بتفاضل العقول ، في سوق الرد والقبـول . فهنيئـاً لمن تـرك العنق في سـيره ونصّ ، واسـتنبط من النص ، فـإن تقليب البصـيرة في صـفحات الأدلة ، من أعظم حســنات خـــدّام الملة ، وإن تحـــديق القلب في مناجم الآثار ، من أفضل أعمـال الأبـرار ، وهل فـــاق وبز ، إلا من بـــالوحي اعـــتز ، فليس العلم بكـــثرة الرواية ، ولكنه بالفقه والدراية، وليس الفقه كلامــاً يحفظ ، ولا جملاً تلفظ ، بل فهم عن الله وعن رسوله ، ومعرفة القـــول بدليله ، وليس الفقه حكاية آراء الرجـــال ، وجمع القيل والقـــــال ، بل الفقه معرفة مقاصد الشـــــريعة ، واسـتنباط المعـاني البديعة . وانظر لابن عبـاس ، كيف بز النـاس ، لما دعا له بالفقه في الـدين ، سـيد المرسـلين ،

ولما تكلم الزنادقة ، والفرقة المارقة ، في أصـــــــحاب الحــديث ، واســتهزؤوا بســعيهم الحــثيث ، وقــالوا : إنهم ينقلون أحـاديث ليس لها معـاني ، ولا تقـوم على مبـاني ، مثل يـا أبـا عمـير ، ما فعل النغـير ، تصـدى لهم محمد بن إدريس ، فاستنبط كل معنى نفيس ، فـأفحمهم ، وفي كل بلاء أقحمهم ، وقيل لابن عبـاس ، في مجلس إينـاس ، بم حصلت على هذا العلم ، ووصلت إلى هـذا الفهم ؟ قـال : بلسان سؤول ، وقلب عقول ، وامتن الله على ســليمان ، وفضــــله على أبيه في معرفة البرهــــان ، لما حضر لديه الخصمان ، قال بعض العلماء : الفقه ما دلك على الرشاد ، وأبعـدك عن الفسـاد ، ومن سـجايا الفقيه ، صـبره على الســــــفيه ، ومجانبته كل أمر كريه ، فمن عقل عن الله أمــره ، وعــرف قــدره ، فهو العــالم العــارف ، والمتقي الخائف .

كان أبو حنيفة يبيع الـبز ، ثم نـال بالفقـه العـز ، كلمـا أعضلت المشكلات ، أخرج من دماغه القبسات الـنيّرات ، فحلها برأي جزيل ، وفهم جليل .

الفقه أغلى بضـــاعة في ســـوق العلـــوم ، وأشـــرف مــواهب القــوم ، فإنك تجد الفقيه محل الاعتبـار ، ترمقه الأبصـــار ، ويعظمه ذوو الأخطـــار ، لأن حاجة النـــاس إلى الفقه شديدة ، ومجـالس الفقهـاء لكل الطبقـات مفيـدة ، وقد تجد الرجل في اللغة من الأعيان ، يشار إليه بالبنان ، وترى النحوي أصبح مرجعـاً في علمه ، جهبـذاً في فهمه ، وتبصر الشاعر بشعره الرائع يخلب لبّ السامع ، وتشــاهد الخطيب ، يســــتولي على القلــــوب ، ويــــأتي بــــالقول المحبوب ، غير أن الفقيه الربّاني ، يجمع محاسن المعاني ، ويبلغ بهمته الأمــــاني ، وقد بز الكــــل ، وارتقى المحل الأجل ، لعظيم حاجة النــاس إليه ، وتــزاحمهم عليه ، وقد عرفت بالتجربة ، أن الفقه أجلّ موهبة ، إذا قرن بالدليل ، وبــني على التأصـيل ، فـإني رأيت الفقيه إماما ، وفي كل جمع مقداما ، وحضرت اجتماعات ، وندوات ، ومحاضرات وأمسـيات ، فـإذا الفقه أعظم مطلـوب ، وأجل موهـوب ،

فالفقهــاء يُسـألون في أعضل المسـائل ، وتفد لهم من الأقطار الرسائل ، والكل ينصت للفقيه بما يقرره ويمليه ، فـالجميع يصـحح على الفقيه عبادته ، والسـلطان يقـوي بالفقهــاء سـيادته ، ولو لحن في الخطــاب ، وأبطأ في الجواب ، ولو قصر في التـأريخ لما قـابلوه بـالتوبيخ ، لكن من قصر في الأحكــام ، قوبل بــالملام من كافّة الأنــام ، فــالعلم ما دل على الــرب ، وصــلح به القلب ، وهجر به الذنب ، وما سواه فليس بذي بال ، ولو تشدق به الرجـال ، وقد عرفنا من دَرَس الفقه ســنوات ، فصــار به من السادات ، وعرفنا من أفنى عمره في بعض الفنون ، وهو في خانة النســيان مــدفون ، لم يسـتفد منه أحد ، ولم يعرفه أهل البلد ، والســبب في اهتمــام البشر ، بَّفقه الأثر ، لأن علم الكتاب والسنّة ، أقـرب طريق إلى الجنّة ، فبهـذا عظم قـدر فقهـاء الإسـلام ، على مـرّ الأيـام ، فهم طائفة الموقعين ، عن رب العالمين ، وهم سرج الظلمــاء ، وغيث السماء .

زين الله بهم الأمة بين الأمم ، كما زين الســماء بــالنجوم في الظلم ، فهم كتيبة الديانــة، وحملة الأمانة ، وحراس المنهاج ، وفرسان الحجاج ، وهم حفاظ النصوص الشــرعية ، ومحــاربو الطــرق البدعية ، كلما تسـلق إلى سماء الشرع كاذب ، أحرقوه بشهاب ثاقب ، وصـبوا عليه العذاب الواصب ، فتـوى في صـحيفة ، أقـوى من قذيفة ، ومسـألة بـدليل ، أفضل من مـال جزيل ، بفتـوى الفقهـاء تحقن الــدماء ، ويفصل بين النــاس في القضــاء ، وتقــام الحدود ، وتنفذ الشروط والقيود ، ينفذ أحكامهم الأمــراء ، ويحترم كلامهم الوزراء ، ويقوم بفتـواهم الـبيع والشـراء ، وتجلّهم المحاكم ، وتتزين بهم المواسم ، يـوقر النـاس ما سطروه ، ويتبعون ما حرّروه ، ويتناقل حـديثهم الركبـان ، وتطير مسائلهم في البلـدان ، يتشـوق العـالم لأخبـارهم ، ويفد الطلاب إلى ديــارهم ، ولايتهم لا تقبل العــزل ، وقولهم فصل ليس بالهزل ، والنـاس ينتظـرون أقـوالهم ، ويقلدون أفعالهم ، تشيعهم الأبصار ، ويـدعو لهم الأخيـار ، يتباشر الناس بقدومهم ، وينهلـون من علـومهم ، فهم في

الوجـود كالتيجـان ، وكلامهم كالمرجـان ، وهم أئمة الإنس والجان .

المقـامَـــة الـجغـرافـيـــة

﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

كفى بك داء أن تـرى ... إذا لم تفقه أســرار

واعلم أن الأشـــياخ ، أخبرونا أن الإنســـان يتـــأثر بالتضاريس والمناخ . فأهل الجبـال ، أهل صـفاء وجمـال ، وأهل عاطفة واســـتعجال ، وأهل الصـــحراء ، أهل مكر ودهــاء ، وصــبر وجفــاء ، وكلما قــرب الإنســان من خط الاســتواء ، كـثرت حِدّته والبغضــاء ، ومن يســكن القطب البــارد ، فإنه ثقيل جامد ، ومن يعيش في أرض خضــراء ، تجد له رقة ورواء، ولطفــاً ووفــاء ، ومن كــانت داره في أرض مقفـــرة ، رأيت منه طبـــائع منكـــره ، من الغلظة والشدة ، والضيق والحدة .

فأهل جزيــرة العــرب ، يغلب عليهم الــذكاء والأدب ، لصفاء سمائهم ، وطيب هوائهم ، وعذوبة مـائهم ، ولـذلك اختـار الله منهم الأنبيـاء ، لأن طبيعة بلادهم في اسـتواء ، واعتـــدال ونقـــاء ، فليس لهم خفة البلاد الحـــارّة ، لأن أمـــزجتهم غـــير قـــارة ، فتجـــدهم أهل عجلة وطيش ، والطــرب عنــدهم ألذ من العيش . وليس لأهل الجزيــرة كثافة طبع الأوربــيين، لأنك تــراهم على المــادة مــربين ، فتعلقهم بالعــالم المشـهود ، مع إنكـار العـالم المفقـود ، وشكهم في غير الموجود .

وللصـفات الحيوانيـة ، أثـر على الفصـيلة الإنسـانية ، فتجد أهل الإبل أهل كبر وخيلاء، وأهـل الغنم أهـل سـكينة ووقار وحيـاء ، كمـا أخـبر بـذلك خـاتم الأنبيـاء ، ومعاشـرة السباع ، تؤثر في الطباع ، ومن خالط الوحـوش تـوحش ، فتجـده إذا أكـل يهـرش وينهش ، لأن الصـاحب سـاحب ، والطبع جـاذب . يقـول المصـطفى : من بـدا جفـا ، وأهـل المدن والحواضر أهل رقه ، وفي النظر أهـل دقـه ، واللـه أرسل من القـرى الحاضـرة ، رسـله بالشـرائع الطـاهرة ،

لأن أهل القرى الآهلة بالسكنى أصـحاب تجربـه ، وأذهـان مدربه ، وآداب قويمة، وفطر في الغالب مستقيمة .

وانظر إلى أهل فـارس الأعـاجم ، لما سـكنوا الريف واشتغلوا بالزراعة فكل عليها قائم ، صـرفت أذهـانهم عن التفكـير ، وضـعفت في جـانب التـدبير ، فلم يكن عنـدهم استعداد لفهم المنقول ، لعدم خصوبة العقول .

ولما جمح الـروم إلى الخيـال ، وأوغلـوا في التصـور حـتى غـابوا به عن الحـال ، كـثر فيهم الزيغ الفكـري ، والضـلال النظـري ، لسـابق ما عنـدهم من دين محـرّف ، وأثاره من علم متلقف . فاختير العرب للرسالة المحمديّة ، لتمام الفطرة النقية ، ووفرة الأذهان الذكية .

واعلم أن من البلـدان من تنتج الكاكـاو والأنانـاس، وبعضها تصدر الذهب والألمـاس، والأخـرى تصـدر الرجـال من أهل الكرم والباس ، وبعض الدول تنتج للعـالم الحديد ، وبعضـها تعلم العـالم التوحيد ، ولأن العـالم بحاجة إلى صـلاح وبِر ، أشد من حاجته إلى شـعير وبُر . والجغـرافي المـؤمن ينظر إلى الجبـال كأنها منـائر تعلن الأذان ، أو أصـابع مـؤمن توحّد الـرحمن ، ويـذكّره النسـيم ، بنفحة النعيم المقيم ، وقيظ الصـيف الحـار ، بحـرارة النـار ، ويـذكّره بـرد الشـتاء وله هرير ، بـبرد النـار والزمهرير ، وتـذكّره الغابـات ، حـدائق الجنـات ، ويتـذكّر كم مـرّ على الجبـال من أجيـال ، ثم دفنـوا تحت الرمـال . ويعجب من قـدرة القـدير ، وحكمة اللطيف الخبـير ، حيث جعل كل شـيء بحكمه ، وكل فعل برحمه ، فلما كـانت الصـحراء ، قليلة المـاء ، معروضة للشـمس في العـراء ، أنبت فيها شـجراً يناسـبها ، وطبيعته تقاربها ، وانظر إلى الأشـجار ، على ضفاف الأنهار ، دائمة الرواء ، كل فصل هي خضراء، تقاوم كثرة الماء ، وجعل حيوان البر بلا وبر ، قليل الشعر ، فهو على حر الرمضـاء مصـطبر ، وحيـوان القطب عليه من الشـعر غطـاء ، ومن الـوبر رداء ، ليعتـبر بالحكمة من شاء .

يا ماسح الأرض بالأميال

يومــاً بعــرضٍ ويومــاً

انظر لمملكة الإبـــــداعِ

في عالم صار بالأحياء

المقـامَـــة الـبوليسـيـــة

 فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ

ومن عـرف الأيـام	**وبالنـــــــاس روى**
معرفـــــــــتي بها	**رمحه غـــير ظــالم**
فليس بمرحوم إذا	**ولا في القضا**

الأفكـــار الإبليســـيه ، ما تردها عن العبد الهـــراوى البوليســيه ، بل تردها الأذكــار، كما وردت عن المختــار ، ولكن البـوليس ، عمله نفيس ، إذا قـام بـالواجب ، وحمى النــاس من كل ســالب ونــاهب . وفي الآثــار : عينــان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشـية الجبـار ، وعين بـاتت تحـرس الـديار ، ولو لم يكن في البلاد بـوليس وشـرطه ، لوقع النـاس في ورطه ، وسـوف يأكل القـوي الضـعيف ، ويعتــدي الســخيف على الشــريف ، وتــوزع النــاس إلى أحــــزاب ، وكسر كل بـــاب ، ولقفز اللص من الدريشة ، ولمـلّ النـاس العيشة ، وسـمعت دوي الرصـاص ، وصـاح الناس هل من مناص ، وصـار أمن النـاس أضـحوكة ، لأنه مهدد بعصابات محبوكة ، وأصـبح الليل ، يزحف كالسـيل ، بكل ويل ، وتحـــولت الأســـواق ، إلى عـــذاب لا يطـــاق ، فيســـلط الله البـــوليس ، على جنـــود إبليس ، لأن من لا يردعه القرآن ، أدبه أعوان السلطان .

أرهب بسـيف الله	**متهتك في الــزور**
كل مكـــــــــذب	**والبهتـــــــــــان**
فالســـــــيف داء	**ومكـــذب الآثـــار**

فالذي هجر المسجد ، وذهب يعربد ، وهدّد أمن الناس وتوعد ، ليس له إلا سـوط حـار ، أو سـيف بتّـار ، ليكـون عبرة لغيره من الأشــرار ، ولكن على من حك العين أن لا يدميها ، لئلاّ يكون حاميها حراميها ، بل يتقي الله البوليس في العباد ، ويكون همه إصـلاح البلاد ، ليعم الأمن والأمانة ، والهدوء والصيانة .

ورضي الله عن عمـر ولله دَرّه ، لأنـه كـان في يمينـه دِرّة ، أغلى من الدُّرة ، يؤدب بها من عصاه ، ويضرب بهــا

من رفض الحـق وأبـاه . وعمـر أول من أنشـأ العسـة في البلد ، لردع من فسد ، وقد أحضروا له رجلاً فاسد الفكر ، ظـاهر النكــر ، لبّس على النــاس في الــدِّين ، ليكونــوا مرتدين ، فزجره عمر وفضحه ، وضـربه بالـدرة وبطحـه ، وأذهب من رأسه بهراوة السلطان ، وساوس الشـيطان ، فلما أفاق الرجل من الغيبوبـة ، ودمـاؤه مسـكوبة ، صـاح في رأسه مؤذن التوحيد ، أصبحنا وأصبح الملك لله الحميد ، فهـذا العلاج الجـذّاب ، والـدواء المـذاب ، يصـرف من صيدلية عمر بن الخطاب :

يا ناسف الظلم فظـــائع أين منها

واعلم أن من النــاس طائفه ، ليست من ربها خائفه ، لا تجدي فيهم النصائح ، ولا يخـافون الفضـائح ، وإنما ينفع فيهم عصا خـــيزران ، كأنها ثعبـــان ، تلف على الأكتـــاف والأمتان ، حتى تدمع من حرها العينان ، ويصيح المضروب : الآن حصحص الحق وبان .

الســـــوط فيه مواعظ

ما ضَـــمها لـــوح ولا

لغة ســـيفهمها غـــبي

ما في حشـــــايا قلبه

فإن لم يردع السـوط من سـلبْ ، ولم تـرد العصا من نهبْ ، فالسيف أصدق أنباءً من الكتبْ .